نَشْوَة الفْلَامِنْكُو

{رَقْصَةٌ بَيْنَ الخِفَّةِ وَالثِّقَل}

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

اسم الكتـــاب: نَشْوَة الفَلَامِنْكُو
القـطـــــع: 14*20
تـأليـــــــف: هنادي الوزير
سنـة النشـر: 2024
تصميم داخلي: سالم عبدالمعز سواح
النـاشـــــر: دار الزيات للنشر والتوزيع

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم: 25820 / 2024
الترقيم الدولي (ISBN): 978 - 977 - 844 - 552 - 7

دار الزيات للنشر والتوزيع
المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم/ ٤٩٣٥١

ت: ٠١٠٦٦٧٣٦٧٦٥ - ٠١٠١٥٧٦٦٠١٤ / shahnda71@gmail.com

نَشْوَة الفْلَاِمنْكُو

نصوص

هنادي الوزير

إهداء

إلى الذي علّمني كيف أطوّع حبري للغرق، ثم أصنع منه قاربًا للنجاة!
صرت نسختك الأنثوية، أتبع نفس فلسفتك في فهم الحياة، الغرق في الحزن!
انتقاء الناس، نوع الطعام، الجنس، الموسيقى!
كأنك خلفيتي الوحيدة عن الحياة..
كل ما فيها يؤول إليك بشكل ما، وكل ما فيك يقودني إلى معنى أن أتنفس
لأبقى على قيد الحياة.

خفيفًا كنت، حرًا كالطير، وستبقى!
وثقيلة هي، بكل ما تحمل، ثقيلة، وساحرة، كحلاوة الأحلام.

مقدمة..

أنا أكتب لأن مشقة الحياة تحتاج قلبا قوياً لا أمتلكه، في رحلة التغيير الحتمية، أن تتحول من إنسان إلى إنسان آخر فأنت في حاجة للإنسلاخ عن جلدك، لتسمو روحك بداخل شخص جديد..

رغم أن كل أنفاسك التي تتبخر في الهواء محملة بماضي توقف عند نقطة، لم تليها كتابة!

ولم يعد يليق بحروفه أن تتجدد، تماماً مثل جلودنا القديمة التي انسلخنا منها وكنا نحن بنسخ جديدة لكننا لا نتوقف خلف نقطة، ولا يعيقنا ألم..

جميع العقبات التي عشناها أنتجت فينا مقاومة، وخلقت فينا صمودًا وأيقنّا أن كل ما فاتنا لم يكن لنا، وكل ما فتناه لم يكن في خطتنا الإلهية، ثمة حكمة من كل ما حدث!

"لا تكتب الأقدار هباءً"

نحن نكتب لأننا مازلنا نمتلك من اليقين والشغف ما يحرك النهر الساكن بداخلنا!

مازلنا هنا..ومازالت الحياة تستفز فينا ما قد نتخيل للحظة أنه لن يحرك فينا شيئًا!

لكن يحدث أن يتحرك كل شيء!

نحن هنا، نكتب، نتنفس الحب، والحياة، كي تُخلد ذكرانا

حين تتوارى الأجساد.

كأنَّ القدرَ يُعيدُ نفسه

تعتقدُ أمي أنَّ تقييمي للمشاكلِ بنظرةٍ نفسيةٍ، وعاطفيةٍ بحتةٍ هو أمرٌ أورثني سوءَ الحظ، وأنه لا بدَّ أن أُنفيَ مشاعري وأتحايلَ عليهم بالدهاء، وليس بالعاطفة!

سواءٌ كنتُ محبَّةً أو كارهةً! ترى أمي أنَّ العاطفةَ "ثقافةٌ" لا يجوز أن نتعاملَ بها، وأنَّها تغلَّبتْ على البشريةِ بقوةٍ وثباتٍ عاطفيٍّ لم يَهتزَّ أمام مشكلةٍ أو بشر! لا تعلم أني كنتُ كبيرةً كفايةً في عمر السابعةِ لأراقبَ انهياراتِها وأوثقَها بداخلي!

لا تعلم أنَّها أورثتني عاطفيتها بشكلٍ مخيفٍ، وكأنَّنا توأمان في الحظ! وأني مثلها أدعي عكسَ مشاعري، وأُمثلُ الجمود، وأنَّ القصةَ متطابقةٌ وكأنَّ القدرَ يُعيدُ نفسه من جديد.

القتل له طُرقٌ عدة

لا أُحسن استخدامَ جسدي..أشعر أن هناك خطأً ما، شيءٌ لا أستطيع ترجمته!

لا أريد أن يمسه أحد!

لا أُتقن العناق، وإن فعلته مجاملةً.

لا أستطيع التنفس!

وقتها أنسحب مبتسمةً، أدّعي أن هناك أمرًا عليّ فعله..

أكذب.. ليكون هروبي لائقًا، لكنّي أحترق من الداخل!

لا أُجيده حقًا، ولم أتعلمه، ربما لأنّي جربته بطرق تشبه الموت!

الموت فقط، فالقتل له طرقٌ عدة،

أسوأها العناق.

لا أعرف لغةً أخرى للجسد، غير التي أتقنتها عندما رحل أبي.

أعرف كيف أهرب بجسدي من الزحام، وأنزوي بين جدارٍ وجدار، أرتجف عندما يشتد الحنين..

أغلق أذني عندما تصرخ أمي، أرتعش عندما يبلغ الخوف أقصاه!

أنتفض، وأنا في أوج ثورتي، وأهرب إلى خزانة ملابسي لأبكي وحدي ما استطعت.

لم أعرف لغةً أخرى للجسد غير التي أتقنتها حين أحببت.

أرى بجوارحي، أنفض عن جسدي القلق بنظرةٍ عابرة.

اليد التي أتقنت العناق اختبأت في جيب الزمن، الكلمات تحترق وتذوب، اللهفة فيضان وانجراف..

القلوب غرفٌ توصد نفسها عندما يشتد الصراع.

لم أعرف لغةً أخرى للجسد غير التي أتقنتها عندما تعدّيت الثلاثين.

أشعر، وأتناسى!

ينبض قلبي، وأتناسى

أتذكر لأتناسى!

أركن مشاعري جانبًا لأنها لا تجدي.

بات جسدي جثةً بلا روح، تعلّمت البلادة.

لا وقت للمشاعر هنا، ولا أحاسيس تسكن جسدي سوى حبر أسكبه على ورق..

لا قلب هنا، فقط مجرد فوضى وأشياء أخرى.

المزيج الذي يجعلك تائها

إنه المزيـجُ الذي يجعلكَ تائهاً، الوجوهُ التي تستطيعُ التعبيرَ بأصغرِ تفصيلةٍ فيها!

العينانِ اللتانِ تتحدّيانِ الصمتَ بكلامٍ صاخبٍ لا يُقالُ بالشفاه، البارعتانِ في صُنعِ الكلام!

الابتسامةُ التي تجلسُ في ذاكرةِ القلبِ على رفّ نبضةٍ أكثر قسوةً من سكينٍ لامع.

يا للتفاصيلِ الصغيرةِ، والوحدةِ التي تكمنُ في كثرتها!

لقد كانتْ رجفةً هادئةً لم تُكلّف جسدها عناءَ انتفاضته!

الأمرُ أشبهُ بقطةٍ بيضاءَ تنفُضُ عن جسدِها بقايا رائحةِ يده حينَ مسحَ على جسدِها على غيرِ رغبة!

إني أُقاومُك لأني لم أؤهَّلْ كفايةً لإعدادِ رغبتي واستقبالِ حبّك المتعطشِ كما يجب!

جبهتُه تذيبُ تجعيدتَها بابتسامة، كلما تباعدتْ شفتاهُ عن بعضهما ارتجفتُ أنا كأرزةٍ تنفضُ ثلجَها عن ذراعيها وتقتلعُ نفسَها من نفسِها في محاولةٍ لقولِ "أحبكِ بكلي"

لكني أتعمقُ إلى آخرِ نقطةٍ في البُعدِ فأفشلُ في اقتلاعي وأتيبّسُ مكاني في كل مرةٍ يبتسمُ فيها وأُحاولُ أنا إعادةَ الكرة.

ما زلتَ حيًا بداخلك

عن الحرير، وطريقة العشق ما بين الجسد والقماش، كثبان من رمال والحوار بين الجلد، والحبيبات المبتلة!
صورٌ لك أراها في قلبي، تقتلني كلما مرت أمام عيني، وتهدد واقعي ببركان أحزان!
ماذا بعد أن يدق القلب؟
حياةٌ أو موت!!
الطريقة الوحيدة للإجابة هي اختبار الشعور!
هل ما زلت كما أنا؟ أم صرت تمثل "السراب" بداخلي؟
عن الفراغ: هواءٌ... خواءٌ
مدى يضيق ويتسع، ثم يضيق ولا يتسع!
"لا شيء" أنا نكرةٌ إذا ما مد لي الحرف يده..
عاقرٌ! رحمي حجرٌ، دون نطفة الحرف لن أنجب الكلمة
عن العطش:إذلال الشعور للجسد
وحيرة بين أن تصر على الظمأ، وبين أن تشرب حتى الثمالة!
النتيجة واحدة عندما تجف شرايينك، ويطل الظمأ ليذلك من جديد..
تتحسس شفتك أملاً في أن تجد الحياة!
تحبس ما تبقى من أنفاسك بين كفيك، وتصرخ بأنك حيّ
ما زلتَ حياً بداخلك، رغم وحدتك!
ما زلت هنا، تملأ حيز الحياة.

كَمَاسَةً عَلَى صَدْرِ الْقَصِيدَةِ

كَمَا الْمَصْنُوعَةُ مِنَ الْوَحْيِ، أُلَوِّنُ السَّمَاءَ، وَأُزَيِّنُهَا بِغُيُومٍ أُخَرَ غَيْرَ الَّتِي نَعْلَمُهَا، أَجْعَلُ لَوْنَ السَّمَاءِ فَاتِحًا عَلَى غَيْرِ الْمُعْتَادِ، وَأَسْكُبُ الْمَزِيدَ مِنَ الْحَلِيبِ الشَّاهِقِ الْبَيَاضِ بَيْنَ رَاحَتَيْهَا!

أَصْنَعُ مِنَ الْغِيْمَاتِ أَمْوَاجًا وَأَسْبَحُ فِيهَا وَحْدِي، تُغْرِقُنِي، لَكِنِّي بِالْكَادِ أَسْتَطِيعُ التَّنَفُّسَ!

خَيَالِي يُحَوِّلُنِي، يَصْنَعُنِي إِلَى مَا لَمْ أَكُنْ عَلَيْهِ!

فَتَارَةً أَكُونُ زَهْرَةً، وَتَارَةً حُورِيَّة بَحْر، وَتَارَةً نَجْمَةَ سَمَاءٍ تَلْمَعُ، كَمَاسَةً عَلَى صَدْرِ الْقَصِيدَةِ!

أُقَاتِلُ الظِّلَالَ وَحْدِي، وَأَهْزِمُهَا..

أَطْرُدُ بَقَايَاها الْمَهْزُومَةَ، وَأَغْفُو عَلَى طَرِيقَةِ الْكَلِمَةِ، بِجَانِبِ الْفَاصِلَةِ، مَا بَيْنَ قَوْسَيْنِ، وَعَلاَمَةِ تَعَجُّبٍ!

أَرْتَدِي اللَّيْلَ عَلَى جِلْدٍ مُقَشِّعرٍ، وَلَا أُقَاوِمُ إِغْرَاءَ النَّدَى حِينَ يَأْخُذُ مَسَارَهُ عَلَى جِلْدِي، وَبَيْنَ تَفَاصِيلِي!

أَنْتَظِرُ وَهَجَ الشَّمْسِ لِيُدَفِّئَنِي، فَيَذُوبُ الْيَأْسُ!

لَا أَمَلَ كَأَمَلِي حِينَ أَكْتُبُ!

أَبْعَثُ الْمَوْتَى إِلَى الْحَيَاةِ وَأَصْنَعُ لِلْأَحْيَاءِ أَلْفَ رُوحٍ، فَكُلَّمَا مَاتَتْ فَتَاةُ الْقَصِيدَةِ أَحْيَيْتُهَا بِجَرَّةِ قَلَمٍ!

شَوْقُ الْكَاتِبِ مُخْتَلِفٌ يَحْرِقُهُ قَبْلَ أَنْ يَحْرِقَ مَنْ يَقْرَأُ.

أَلَمُهُ كَالْخُنَاجِرِ! تَطْعَنُهُ قَبْلَ أَنْ تَطْعَنَ الْقَلْبَ الَّذِي يَشْعُرُ بَعْدَ أَنْ تُحْرِقَهُ نِيرَانُ الْحَرْفِ حِينَ قِرَاءَةٍ.

بَحرٌ مِنْ أَحْجِيَة

من بين كل الوجوه الَّتي استماتت لتلفت انتباهي، كان هو كعلامة استفهام كبرى جعلتني أزج برأسي في بحر الأسئلة، ورغم هذا لم أقترب وأسأله سؤالًا يدل على فضولي!

وإن حدث وسألت، فهذا لأني أحيانًا أفهم ما يجول في الرؤوس، فألهيهم عن فكرتهم بسؤال ليس له علاقة بما يُفكرون لأبعدهم عن الفكرة التي قرأتها ولم تعجبني.

لقد سكنت الطفلة اللحوحة بداخلي، ولا أعتقد أنها الآن يعنيها ما كان يعنيها في السابق، ولا يعنيني أيضًا سيل الكلام دون أن أربطه بالمنطق، وأُسنده بالعقل، ولستُ بسذاجة من يقترب ليحترق، وليس هو من الأشخاص الذين عندما يشعرون بأنك تهُم لسؤالهم سينهمرون بالأجوبة! يُزعجني جدًا أمر أن تمتليء بأسئلة ليس لها إجابات!

الأمر يشبه أنك في بحر من الأحجية التي لا حل لها!

وحيد تتلاطم معها لمحاولة تفكيكها وترتيبها وهدمها وبنائها وعصر عقلك لتستخلص جوابًا واحدًا يرضيك ويُقنِّع شَرَهَك على المعرفة.

يُغَيظُني النهر الهادئ، وقليلو الخبرة في شدِّ لجام الكلام وامتطاء صهوة البيان!

وأعتقد أنه من العادي جدًا أن يخمد فضولك تجاه الماء الراكد حتى وإن كان يتفاعل مع الكون سرًا.

هل أخبرتك يومًا اسمي الحقيقي؟

مع نهاية العمر، حين تنحني الذكريات في القلب، كغصن شجرة في أرض مهجورة!
تسقط المشاهد مع سقوط الليل..
حفيف نسيم يستحضر فطرة القلب الأولى، ويعيدني إلى مكان يحتوي أجمل الساعات.
يدان، تعلّمت فيهما لغة الماء، وما تخفيه زهرة الليلك.
هناك، رأيت كيف تنظر إليّ وتضحك.
لم ترحل.. كنت تتأملني وتبتسم، فنبت توت أحمر على شفتي.
كنا هناك، في عالم تبقى فيه الأشياء نقية، مثل أول الوعود.
لمست روحي كقديس يعمد راهبة،
يمسح على جبهتها بماء الورد، وينظر إلى عينيها، وتتسارع أنفاسه، ويتسابق ريقه مع شهيقه.
أنت تعلم أن نقائي لا ينضب، وزوارقك مليئة بالثمار والشغف!
تأملتك طويلاً، تذوقت قلبك فشعرت بلذعة كالبرتقال، ورأيت لون التفاح يترك وهجًا على ملامحك.
لمحت فيك بريقًا يلمع، فغنى قلبي أغنيةً للانتصار.
أنظر إلى عينيك، لون الرغبة فيهما ناصع. أعرف أنك لم تكرهني، وأنك مثلي ضائع، منهك.
أعلم.. أنك ستبقى الحاضر وإن لم تكن هنا.

تسعفني بالكلمات لكي أسميك في كل ما أحب، فلا أستطيع أن أتخلى عن قلبك الطفل. لا عينان لي بدونك، وليس لي وجود إن لم تكن هنا.

أنا حطام يوحي بمأساة، ورغبات ضائعة، وشغف اختصر فيك.

حين يسقط الظلام، أريد أن أصل إلى قاع البحر، وهاوية عينيك اللتين تشعلان الرايات في سفن أعماقي. أن أحرر من ملامحك

وعودًا لم تُوفَ، وأسمع صوتك الخافت يهمس لي أنني وطن الكلمات.

"ليس لي وطن إلا فيك"، وهذا اللون القرمزي على شفتيك كآخر ما تبقّى من أصل العشق، حيث يوجد حلمي الأبيض!

يختزل صوتك نعيم السماء، ومملكة مورقة من العشق والملذات.

ليت في وسعي أن أعيشك الآن.

كنت دائمًا على يقين أنه في آخر المطاف، سأتأهل لك كتربة تزرع فيها نفسك، وتكون السماء وطنًا يحتوينا معًا.

أنت تعرف جرأة عيني، ونعومة يدي

التي تداعبان فيك الحياة، والشغف، ورغبة البقاء.

هل رأيتني في حلمك بإحدى الليالي؟ أنام إلى جانب جسدك؟

هل سمعت همسي يعانق رجفتك

مثل شفة تعانق أنينها؟

أقسمت ألا أموت قبل أن ألمس صدرك، لأمتص كل ألم اعتصر قلبك.

هل أخبرتك يومًا اسمي الذي أخفيه؟
اسمي القديم كمغارة تحتوي الصمت.
"أنا مغارتك، وأنت صمتي".
وحين أنام وأحلم، تأتي كروح تفهمني، وتنسى أصوات شجاراتنا والغياب!
تنفض رماد الوقت وتبرم "اتفاقًا"
مع الساعات.
اسمي، صوتك حين تبكي في الليل الموحش، وحين تغني للشقاء.
اسمي"صوت الكروان"، والشعاع الذي يتسرب عبر نافذتك من خلف الستائر.
أختبئ في خطوط جدرانك، وأصير الانعكاس الذهبي في المرايا حين تقف أمامها لترى وجهك.
اسمي جاذبية، تلقي نفسها من حافة سور شرفتك، فتطير إلى أعلى من حدود بيتك نحو السماء حيث تنعم كل الأشياء التي أحبها في راحتها معك.
هل أخبرتك يومًا اسمي الحقيقي حين أنتظرك؟
أنا - الحزن - ما بين الأمل والخيبة!
العشق، الذي لا يكف عن البكاء
كطفل بيننا.

لست آمنة في جسدي

كيف يعبر كاتب عن نفسه حين يكتب، وقد دفنوا الكلام في فمه عندما كان في المهد صغيرًا؟

فحين كان يريد أن "يبول" لم يستطع التعبير..

فانتفخت مثانته، ونام دون أن يملك جرأة قول: "أريد أن أبول"

أفرغ كل مائه وهو غافٍ على بحر من غمام، فشربه فراشه بالكامل، ولم تشِ به الرائحة. فقد تحولت إلى ملح وذابت في الهواء!

في الثامنة، لم أكن آمنة في جسدي. وحين أردت أن أهرب، جذبني، واستباح براءتي، وامتص رحيق أجاستين على صدري عن آخرهما. ترك لي بذرتين خائفتين، وسائلاً لزجًا، ورائحة كشيء حامض لا أذكر له اسمًا!

كان بإمكاني الهرب، لكن قدمي كانتا صغيرتين بحجم الدنيا!

وقتها التوى فخذي على بعضهما..

كنت أشهق كجرو مذعور يتمنى أن يظهر باب في الفراغ ليهرب من "المشهد" إلى الخارج الآمن!

لكن الباب لم يظهر، والجرو لم يخرج!

بل ظل المشهد مظلمًا حتى تشبثت بكرسي بدا وكأنه يجذبني من أصابعي!

لم يكن لي صوت، دفن صوتي بحنجرتي في لحظة عجز!

تمنيت لو أنني ابتلعت نفسي كي أختفي!

-لست آمنة في جسدي- أحاول أن أشعر بأن الغطاء حضنٌ يحيط بجسدي العاري. لكنه كان يومض كنجمة!

كانت بشرتي تضيء فيخترق الضوء الغطاء. أحاول ألا ألمع، لكن جلدي يؤمن أن الجمال لا يستطيع أن يخفي نفسه!

فيبدو ويطفو حتى وإن دفن تحت التراب!

أنا أعلم أنني لن أمت. سأكون زهرة أوركيد تتحدى الطين وتنمو لترى السماء!

أنا أرتجف الآن.. أصابعي تسمع اصطكاك أسناني جيدًا! يبدو الصوت مألوفًا، وكأنه أوركسترا تعلم كيف تنظم نفسها!

قلبي يدق كطبول الحرب قبل المعركة، شيء ما يتأهب بداخلي ويعلن نفيره!

تثرثر روحي بصوت غير مسموع، لكني أسمعها جيدًا!

تريد أن تقول إنها تريده، لكني لم أعد أعلم كيف يكون الحب خارج إطار الجسد!

كل شيء مسجون بداخلي يود لو أنه تحرر!

عاطفتي، شهوتي، مزيج الجنون العاصف تحت جلدي! لكني لم أعلم الحب خارج هذا الجسد!

أنا مسجونة بداخلي، أود الهروب، لكني أخشى ما لا أعرفه في الخارج

نصٌ بذراعٍ مُلْوىً

فجوةٌ سوداءْ، ويدانِ من جحيمْ
مُخيّلةٌ برتقاليةٌ على شكلِ مَعِدَةٍ مسطحةْ.
حياةُ كزنجيٍّ مازوخيْ يرتدي ملابسَ قديسٍ وهو بالأصلِ يديرُ ملهىً ليليٍ للعراةِ والعَربدَةْ!
بُنٌ مُر، كوبٌ مشقوقْ، جسدٌ بلا رئتينْ!
شهيقٌ..زفيرْ..شهيقٌ..زفيرْ
(Lana Del Rey) تخلعُ ملابسَها وهي تُغنّي: " Young And Beautiful"
سَحابةُ دخانٍ بالطابقِ الأسفلْ أنفٌ ضيقٌ من الداخلْ!
امرأةٌ تأكلُ أصابعَ الحمرا أمامَ المرآةِ وتنتشي، كحلٌ يسيلْ.
"شو بتعملي لما يكون فستانك عليكِ ومش عليكِ"
عدساتٌ لاصقةٌ تشبه ذاكرتي.
شَفةٌ ملساءْ، نزيفٌ داخليْ، بصقةٌ ورديةْ، وِجنتانِ وسكّرٌ محروقْ!
قارورةُ قبلاتٍ نبيذيةٌ منبوذةٌ مدحورةْ مستوحاةٌ من قصةٍ خاليةٍ بلا أبطالٍ ولا شفاهْ.
عيونٌ زرقاءْ، نهدٌ قرمزيْ، نصٌ بذراعٍ مُلْوىً محاطٍ بولدانٍ مخلدونَ يشبهونَ يوسفَ الذي لن يتحررَ من رحمي!
مؤخِراتٌ مُلونةْ، صمتٌ أزرقْ!

لصٌ يركضُ بساقٍ واحدة!
عاشقةٌ تحملُ مِشنَقةْ، أصلعُ بشعرٍ كثيفٍ على صدرهْ!
ماسةٌ على هيئة حبةِ عنبٍ حمراءَ "بداخلِ سُرّتها"
وحيٌ ببشرةٍ بيضاءَ، وجناحٍ مكسورٍ وقِرطٍ بأنفِهْ.
عينٌ مُعلقةْ، الساعةُ تصرخْ، الوقتُ يسقطُ في الفجوة السوداءِ بالأعلى
حلقٌ ملتهبْ، صدرٌ يغلي، ضيقُ تنفسٍ متعمدْ، حبسُ أنفاسٍ وأفكارْ!!
الكاتبةُ التي بداخلي تهذي بعد أن أكلَتْها الحُمّى.

في بيتي عالم

رقيقة فكرة أن يكون هُناك صبحٌ.

الشمسُ لا تجدني دائمًا، وغالبًا ما أتجنبُها كي لا تبرِز لونَ عيني !

وَ عادةً، ألوذُ بالفِرارِ كي لا تظهر الندبَةَ على خَدي، فتذكِرني بقسوةِ المرآةِ، وَ صرخات جِلدي!

الشمسُ الجميلة التي تطوقُ لِتراني

فتتسربُ مِن جميعِ المنافِذ، وَالنوافِذ، وَ حَزِّ الباب، وَ مِن خلفِ البرادي!

الشمسُ حينَ تركضُ الغزلانُ.

وَحينَ تعمُّ رائحةُ التوتِ والدراق

وَحينَ تتلألأ النِساء كالتفاح الطازِجِ!

وَيعكس النَهرُ ضَوءهُنَّ البنفسجي، وَحينَ تقطفُ البِلادُ ثورتها مِن عيونِ المتمردين!

الشمسُ التي تكمُنُ في شرارَةِ الفَورةِ، وَشرَه الجُموحِ، وَفتيل إندلاعِ الفتيةِ المُشتعِلِ، وَبهجة العمر الذي يبدو بأولِه، وَيهربُ مُنتهيًا في كلِّ طفلٍ أراها، وَفي الجِباه المُضيئة كقناديلٍ .

الشمسُ التي لا تعبثُ معنا، بل

تعلِن عن نفسِها في الكون بلا خوف.

الشمسُ الواضِحةُ كَعَينِ أبي!

المُضيئةُ كَقلبِ الغريقِ الذي كانَ يعلمُ خبرَ موتِه مُسبقًا، لكِنه أبقاه سِرًا كي نفرح ونحيا معا، فلا يُبكينا قَبلَ المَوعِدِ!
للطَريقِ شَمسٌ، وَأشجار تتنفسُ، وَذكرياتٌ وَ رِفاقٌ.
للطَريقِ بدايةٌ وَ نهايةٌ ومسافات، وَزمنٌ وَ حدائقُ خضراء..
للطَريقِ بَحرٌ، وَللبَحرِ سَجينٌ يشتاقُ إليه.
وَأنا، عِندما اشتقتُ إليكَ يا بَحري
خلعتُ خوفي..حَرّرتُ قَدمي، وجرأتي السَجينة، وَلَمستُكَ!
لَمستُ برودَتِكَ وَ مِلحُكَ، فتَخلّلت مَفاصلي وَ عِظامي !
وَباتَ الذي يجري في جسَدي الآن
ليسَ دَمًا..
الذي يجري في عروقي الآنَ أنتَّ يا بَحر!
لَم أنأى بنفسي عنكَ لأني أردتُ ذلكَ
بلْ لأني كنتُ أجنِبُ نفسي ضَجيجكَ، كي لا أتعلقَ بِكَ أكثَرَ
فتتشبث بي، وَتسكُن عِظامي!
وَعِندما عَصفَت رياحُكَ بي صدّها عِنادي، وأخمَد صَوتُكَ السَكينةَ في قلبي، فَبكَت روحي مُكابرَةً عَزيمَتي!
الحياةُ جميلةٌ حينَ نختار أن ننامَ على رِمالِ البَرِ الآمِن.
الحياةُ جميلةٌ حينَ نَنسى خَيباتِنا
أو نفشلُ في شَرحِها !

الحياةُ جميلةٌ بشكلٍ ما، حينَ تكسَرَنا بإنصافٍ لتُقوينا
الحياةُ جميلةٌ حينَ أفتحُ شاشَتا عَينيّ لأقبضُ على العالَمَ، وَأرى ما لا يراه غَيري !
الناسُ يبدونَ مُختلفين في منازِلهم
يعلمونَ أينَ يُخفي سِربُ النَملِ قوتَه للشتاءِ!
يعلمونَ أينَ يبني العَنكبوتُ بيتَه
وَيتقاسمونَ الوَجَعَ معَ قِططِ البيتِ
وَرُفقاءِ الروح !
في بيتي عالَمٌ، وَفي عالَمي سِربُ حمامٍ يدورُ فوقَ رأسي!
وَأعلمُ مِن أينَ تشرِقُ الشمسُ مِن بينِ تلافيفِ رأسي، ليجذِبَ الضوءُ الحمامَ.

عندما يأكلني الغضب

أمشي في البيتِ بغضبٍ، أضربُ الأرضَ بقدمي، أسيرُ عاريةً بلا توريةٍ أو استتار.

يُشعلني الغضبُ، فلا أطيقُ جسدي أو ملابسي، رغم قسوةِ البردِ، وحساسيةِ الصدرِ التي تأكلني كلَّ لحظة!

عندما يأكلكَ الغضبُ، تفورُ من نفسك وعلى نفسك وتكرهُ وجهك وجسدك، حتى أنك قد تضربُ الجدرانَ حتى تُهشِّمَ أصابعكَ دون اكتراث، ودون أدنى شعورَ بالألم. فألمُك الحقيقي الذي يأكل قلبك. أقوى من ضيقِ التنفس وآلامِ الصدر والمفاصل، وأشدُّ قسوةً من ضيق التنفس، ومن هذا الصداعِ الذي يعاندُك ولا يدعُك تنامُ لعشرِ دقائقَ متواصلة.

لا أُكترثُ لصدقكَ أو شعوري بالعجز، ولن تُحرِقَني تنهيدتُكَ الطويلةُ عندما تستسلم.

ولا أنوي سحبكَ من الخيال وضمكَ إلى صدري في محاولةٍ لتهدئتك. أحاولُ نسيانكَ لبضعِ دقائقَ فقط لترتيبِ أفكاري وكتبي، والتخلصِ من هذه الفوضى التي تشبهُ فوضى مشاعري، وتثير أعصابي مثلك تماماً.

أجلسُ قرب الكتبِ كجنديٍّ مهزوم، لا يقوى على ثني ركبتيه بعد أن تلقى رصاصةَ دمدمٍ "محرمة دولياً"

تشظت في ساقه ولم تترك له مجالاً للاحتفاظ حتى ببقايا أصابع قدمه!

أُمسكُ بروايةِ "ما قبل الفراق بخطوة"

وأتساءل: ما الذي يحدثُ قبل الفراق؟ لماذا أصرَّ أحمد مدحت رحمه الله على أن يجعل "عليّ" مستسلماً وغيرَ مكترث؟ ولماذا بقي الصراعُ بينه وبين زوجتِه صامتاً مليئاً بالتوتر؟

لم أحب هذه الرواية ولم أكملها لأسباب عديدة. منها أنني لم أستطع انتظار حلِّ أمورهما، ومنها ما لا أستطيعُ الإفصاحَ عنه لحفظ ماء وجه شقيق الكاتب ذاته.

رتبتُ الكتبَ حسب مزاجيتي الغاضبة.وضعتُ "المنار" لفيرجينيا وولف بجانب "نوم جيد طوال الليل" للورانس جي. ربما لحاجتي إلى الغرقِ في نومةٍ أو "كومة" لا أصحو منها أبداً!

تذكرتُ جملةَ فيرجينيا: "يجب على الريح أن تتوقف هنا بالتأكيد".

كنت أثني ركبتي وأرفع كعبي عن الأرض وأحمل جسدي كاملاً، وأنا أركز كل ثقله على أصابعي العشر! كحركة لا إرادية ابتكرتها راقصة باليه سيئة المزاج قررت أن تختبر قوتها بعد تناول عشر كؤوس كامباري غير مخففة!

أمسكت كتاباً لكافكا وفكرت كيف أن رسالةً دافئةً من ملينا أنسته مساعدةَ خنفساء مقلوبة على ظهرها على مسافة ياردة من مكان

جلوسه بدا عليها اليأس، وعجزت عن الإعتدال لتكمل طريقها رغم رغبته في إنقاذها. لكنه لم يتمكن من النهوض من مكانه!!

-هذا ما يفعله بنا الحزن أحياناً-

عندما نريدُ إنقاذَ أنفسِنا، لكننا نستسلم.

أمشي في البيتِ بغضبٍ وأدّعي أن ما يسقطُ من عيني ليس بكاء. أنحني لأُربتَ على قطتي، التي تمتصُّ طاقتي السلبية كطريقةٍ لا إرادية للتخفيفِ عني.

قطتي تسمنُ كل مرة تحاول تقشير الحزن عني، فهي تأكله كلما تساقط حولي في محاولة لإنقاذي من الغرق فيه، وليست سمنتها بسبب الطعام.. فأنا غالباً أنسى إطعامها كلما ضرب الغضب ذاكرتي.

أجلس بجانبها وأقبلها بين عينيها، وأذكر صوتكَ وأنت تقول: "عايزك هنا".

أتنفسُ بسرعةٍ كقطةٍ هاربةٍ من كلبٍ غاضب، وأتذكر ذقنكَ الخشنةَ التي كنتُ أتوقُ لتقبيلها.

أنا لست ناعمة الآن، عقلي أكثر خشونة من ذقنك ولا يمكنني كتابة كلمات رومانسية ورقيقة لأرسلها لك في رسالة نصية تصف لك كم أحتاج إليك!!

أمرّ أمام المرآةِ كلبؤةٍ شرسةٍ وغاضبة.. غير مؤهلةٍ سوى لسبِّ الوحدةِ والأرق ومرضي وقطتي، وكل جماد أرتطمُ به فيجعلك تتسربُ من مفاصلي، فأجثو لألملمكَ وأحقن بك نفسي من جديد.

أنا على ما يرام، ولا أحتاجُ لتصديقك أو تصديقِ الأطباء.
هل هذا ما يحاولون فعله بنا؟ أن تتحولَ اللقاحاتُ إلى قنابلَ ملغومةٍ في دمائنا!
أنا هادئة الآن، لكني لا أستطيعُ البوحَ بما يقلقني لأن كلَّ شيءٍ يبدو بلا جدوى.
نحن ندفعُ ثمنَ حبنا للآخرين لأننا خُلقنا في المكان الخطأ.
لم يعد هناك مكانٌ آمن لأخطفك ونهرب إليه.
أشعرُ بالبرد وأعلم أن الدواءَ لن يجدي، وأني سأقضي الليل كاملاً أسعل فقط لأني عاندت جسدي بعد شعوري بكثير من الغضب الذي كان كبيراً وصغر جدا عندما فكرت أنه كان يجب ألا أغضب، لكني انتابتني كتلة من الحماقة البدائية حين شعرت ببعض الغيرة، والأنانية فأفلتت حبال القيد عن مشاعري لأول مرة منذ وقت طويل!
تدقُّ في رأسي الآن جملةُ لوركا المعذب حين قال:
"أيها الحطاب، اقطع ظلي، خلصني من العذاب، من رؤية نفسي دون ثمر".
أريد أن أخبرك أنني أحبك، لكن أصابعي يائسة كصوتك حين تيأس، وكغضبي حين لا أعبرُ عنه سوى بالاستسلام للصمت واللاشيء.

أنا هنا

أنا هنا، أنظرُ لكَ، أُحدّقُ لساعاتٍ
ألوّحُ لكَ عبرَ شاشةِ الهاتفِ
هل تراني؟
أنا هنا، أربتُ على اسمكَ بأناملي
صورتكَ السوداءُ، كلماتُ ماركوس أوريليوس البيضاءُ:
"هناكَ حاجةٌ إلى القليلِ جدًّا لتحقيقِ حياةٍ سعيدةٍ، كلُّ شيءٍ في داخلكَ، في طريقةِ تفكيركَ"
ربما ماركوس على حقّ. لكني لم أستطعْ تغييرَ ما آلت إليهِ الأقدارُ أو الأفكارُ!
أملأُ نفسي بصوتِكَ الحبيب بتمهُّلٍ حذرٍ..
أحلّلُ ذبذباتِهِ، أتذوقُ حزنَكَ!
أغمسُ روحي فيهِ كمن يغمسُ إصبعهُ في العسلِ الأسودِ، ويمتصهُ على مهلٍ!
أُنصتُ لكَ جيّدًا لأكثرَ من ساعتين
لوجعكَ، لهمسِكَ، حين تلوكُ عاطفتَكَ، تغني بها..بطريقتكَ المُموّهةِ، بصمودٍ يتداعى.. تتلو القصيدةَ بوجعٍ بالغٍ، تضحكُ بنفسِ الطريقةِ التي تبكي بها!
بصمتٍ يجعلكَ وحيدًا بين أصواتِهم!

تعبرُ عن ألمِكَ، ببحةٍ تستنزفني!
توجعني! فأنوحُ كنايٍ
يُقبّلُ أصابعَكَ بثقوبِهِ!
هذيان، هذيان
أتخذُ من نبرتكَ جسرًا لأعبرَ حدودًا
بُنيت بيننا..رغمًا عني!
أصلُ إلى قلبِكَ أعتذرُ له قسوةَ الدنيا، وقسوتي.
أعانقُهُ بحذرٍ، وأغمضُ عيني وأقبّلهُ برويةٍ وكأنّي أخشى عليه أن ينكسر!
هشٌّ أنت..هشةٌ أنا!
لكني أتمادى في وجودي الخفيِّ
خشية أن تشعرَ بي، فأوقظَ فيكَ حزنًا يحاولُ أن يغفو!
أراقبُكَ بحواسّي، عابرةً حدودَ الهاتفِ!
والمسافاتِ، واللامعقول، والممكن!
أُحدّقُ فيكَ وأنتَ في فراشِكَ
تلقي قصيدةً عن "غمازتين" لا أمتلكُهما!
فأقعُ في ظلمتِهِما، وأعوي كظبيٍ مذعورٍ، وأحبّك!
أتمادى في الوقوعِ في حبّك كلَّ مرةٍ، بشكلٍ جديدٍ!
كأولِ لقاءٍ.. هل تذكر؟
أنا هنا..هل تسمعني؟
أحبّك في صمتٍ كصمّاء!

تمتلئ بالكلامِ ولا تستطيع قوله
أو البوح به، أُحدّقُ في اسمِكَ بعينين مكلومتين تلمعانِ شوقًا
أمسحُ على شعرِك، وكأنّي أربتُ على الهواءِ.
ما أطول المسافة بين قلبي وقلبكَ!
خواء، خواء! فراغٌ يمتلئ بكَ
أحاولُ أن ألملمَ شتاتَ نفسي
فأضيعُ فيكَ، وأضيعُ مني!
وأشيعُ جنازةَ قلبي بعدما يكفُّ صوتُك عن النواحِ، والكلماتِ!
ويمتلئُ البيتُ بالصمتِ
تغادرُ، فأبقى هنا أحرسُ بقايا وجودِك، وأُغني لمقعدِكَ الفارغ
في قلبي.

لست تفاحة، ولا دمية

هل ستأكُلُ ذاتَك؟
التفاحةُ تقولُ: نعم.
لقد اكتشفتُ أثرَ القضمةِ بالصدفةْ
كانت أسنانُهُ توحي بأنهُ التهَمَ بشراهةٍ جزءًا منها.
وكنتُ أنا ذاتَه المدوّرةْ.. على هيئةِ تفاحة!
ما زالت أسنانُهُ الخفيةُ تتركُ أثراً فاتحًا، لكنَّ اللونَ لا يَبقى وعادةً تصبُغُه الأيامْ.. فيصيرَ داكنًا شيئاً فشيئا.

الطلاسمُ لا تتوقفُ عن العبثِ بأيامي..
العِفريتُ ما زالَ يشيرُ إلى جسدي كلما خلعتُ عنّي ثيابي!
لِمَ قد يتأملني من "لا أراه"
أنا لستُ دميةً، ويدُ الصنبورِ القويةْ.. لا تطيعُ يدِيَ حينَ أتوسلُ إليها أن تستنطِقَ الماءَ لأرويَ ظمئي..
هذا دليلٌ قوي على أنني بشر!
أنا أقوى.. وتخفُتُ همّتي فأضعُفُ أحياناً
البشرُ يظمؤونَ ويضعُفون، ويخافونَ الغيبَ بالليالي القادمة!!
لستُ تفاحةً ولست دميةْ!

صالة الانتظار رقم (١)

وكما تقول أمي:
"لقد فات القطار فدهسنا!"
لم نلحقه ولم نفوته، بل عبر علينا ولم يترك لنا مجالًا للاختيار، ما بين المغادرة أو الانتظار!
صباح الخير أيها الوحيد الذي ينتظرني في مكان يشبه المحطات وقاعات السفر، لكنه لا علاقة له بالوقت، ولا مقاعد الانتظار، ولا الأرصفة!
وليس هناك بشر يقفون قربه بجانب اللافتة الكبيرة المكتوب عليها
"صالة الانتظار رقم ١".
ربما هو يقف في الصالة الخطأ، لأن الأقدار ترتب مصائرنا لتتعاكس، يقف هو في الصالة "١"، وأنتظره أنا في الصالة "٢"، فيحدث ألا نلتقي أبدًا!
هكذا تكتب الأقدار، فننتظر عمرًا كاملًا دون أن نلتقي!
"على جميع الركاب المرور من الممر رقم ثلاثة لإيجاد منطقة آمنة للخروج، ولا داعي للتزاحم..
"سيبيت الجميع في بيته!"
لكن أمي لا تقتنع بذلك، فتدفعني مثلما يفعل الجميع، فيحدث التزاحم وتتكدس أجساد المسافرين في الممر الضيق.
فيضيع الوقت، ونحن جميعًا ننتظر، فلا يصل أحد ولا يغادر أحد!
الممر مغلق بالكامل، وأمي تنتظر في آخره، مثلما كانت تنتظرني وهي تدفعني بقسوة لأخرج من فرجها!

"على جميع المسافرين مغادرة الممر رقم ثلاثة من باب الطوارئ الخلفي"
لكني أقف في المنتصف المميت، لا أعلم هل عليّ أن أتحرك يمينًا أم يسارًا، أم أبقى كما أنا حتى ينتهي التزاحم؟
لقد سمعتهم يقولون إن الكل سيبيت في بيته، لكن أين يوجد البيت؟ لقد نسيت!
هم لم يذكروا حتى أين يوجد باب الطوارئ؟ لكنهم ذكروا فقط أنه بالخلف، دون ذكر أي تفاصيل أخرى!
لقد تركوا الأمر لذكائي، وأنا كثيرًا ما يخونني ذكائي، فأتوه في ممرات عقلي، ولا أجد مخرجًا واحدًا لأغادر حيرتي..
تقول أمي إنني في الغالب أتوه في عقلي، مثلما تتوهني الشوارع، وتربكني وكأنني لم أرها من قبل!
هكذا تتحدث أمي، متهمة إياي بالتوهة، عندما دهس كعب حذائي تحت عجلات سيارة "سوزوكي إسبريسو"، بينما لم تقرب السيارة قدمي أو حتى تلمسها!
يجب أن أكون ممتنة جدًا لصانع الحذاء، فلو كان أضعف من ذلك، لكانت قدمي اليمنى في خبر كان، وكانت أمي لتلومني كثيرًا حتى ينتفخ عقلي من قسوة لومها، دون أن تأبه لضياع قدمي تحت عجلات الإسبريسو!

سَرِيرٌ مَحفُوفٌ بالحَمَامِ والجَنازِيرِ.

أَنَا الآنَ مُخَدَّرَةٌ تَمَاماً بَعدَ تَنَاوُلِ جُرعَةٍ زَائِدَةٍ مِنَ "الرِّيسْتُولَام".

رَأسِي فِي جَسَدِك، وَيَدِي صَارَت يَدَك، وَقَلْبِي يَهتَزُّ خَلفَ ضُلُوعِ صَدرِك، وَجَسَدِي تَحَوَّلَ إِلى مَاءٍ يَنسَكِبُ مِنك فِي لَحظَةِ سُكرٍ لَذِيذٍ!

وَكَأسانِ مُختَلِفَانِ، وَمَذَاقَانِ لا يُشبِهَانِ بَعضُهُمَا مِنَ الرَّامِ وَالفُودْكَا!

أَنَا الآنَ كَسَرِيرٍ مَحفُوفٍ بِالحَمَامِ وَالجَنَازِيرِ! تَنُوحُ حَولَهُ المَلائِكَةُ البِيضُ، وَتَملَأُ الهَوَاءَ بِعِطرٍ يُثِيرُ شَهوَةَ قَلبِكَ وَيَجعَلُهَا لا تَنقَطِعُ!

تَبدَأُ وَلا تَنتَهِي، وَحِينَ تَنتَهِي تَعودُ لِتَبدَأَ!

أَنَا الآنَ كَبِئرٍ لا يَنضَبُ، وَأَنتَ الآنَ كَنَهرٍ يَجرِي تَحتَ ظَهرِي، يَرتَفِعُ مَوجُهُ كُلَّمَا ارتَفَعَ بَطنِي، وَيَنخَفِضُ كُلَّمَا تَمَرَّدتُ وَأَغلَقتُ صَوتِي لِيَتَأَوَّهَ بِهَمسٍ، وَيَعلُو مِن جَدِيدٍ، كُلَّمَا عَلَا هَمسِي فَمَسَّ السَّمَاءَ بِبُخَارِ شَبَقِكَ الدَّافِئ!

أَنَا الآنَ مُخَدَّرَةٌ كَغَزَالَةٍ، تَرْقُدُ بَينَ ذِرَاعَي الذِّئبِ، وَهِيَ تُوقِنُ أَنَّ أَسنَانَهُ تَلمَعُ قُربَ رَقبَتِهَا!

لَكِنَّهَا تَشُمُّ رَائِحَتَهَا فِيهِ، وَتَغفُو فِي حُضنِهِ مُطمَئِنَّة!

مثلُ الخبزِ أنتَ

أبي.. لقد فاتك الكثير. إنني أتقدّمُ في العمرِ الآن، وما زلتُ لا أعلمُ من أنا! يتعثّرُ بصري بالمشاهدِ كلَّ يوم. الأشياءُ المأساويةُ تقسمني نصفين. لكنّ الجمالَ يأتي ويمسُّني بشيءٍ من السحر! خاصّةً حين يكونُ في رجلٍ أقنعني أنّه دهليزٌ أنحدرُ معه إلى امتدادٍ لا أعلمُ له نهاية! كنتُ أودُّ أن أخبركَ أنني أحبُّه جدًّا، لا أعلمُ لماذا أو كيف؟!

أحبُّ الأماكنَ المزدحمة، فهي تُخرجني منّي قليلًا، وتجعلني أغلقُ البابَ على أشباحٍ لا حصرَ لها. أراقبُ برتقاليةَ السماءِ، وحين يلتهمُ الخريفُ أوراقَ الخشخاش، وحين ترتفعُ روحُها، ويغوصُ عطرُها في الهواء! أحبُّ صوتَ تكسّرِ الأغصانِ تحتَ قدمي حين يغويني رذاذُ المطر، وقرونَ الأيائلِ وصوتَها حين يختلطُ بأصواتِ طيورِ اللقلقِ المهاجرة، حين تجتمعُ لتبني أعشاشها، وحين أتبَعُ الأشياءَ كأسطورةٍ معلّقةٍ على هامشِ الدنيا!

ربما لم أكن وحيدةً بما يكفي لأمنحَ للوقتِ قدسيتَه، مزدحمةٌ لكنني أجهلُ كيف أعبّرُ عن ازدحامي، وأحيانًا لا أجدُ مفردةً تصفني لأحدٍ يهتمُّ بأن يعلمَ ماهيتي. معتمةٌ جدًّا، لكنَّ النورَ الذي لا يعكسُ كياني ولا يعبّرُ عنّي يخدعُ الآخرين أكثرَ من خديعةِ المفردات!

المحيطُ هنا يُشوّهُ الأفكار، ويُشكّلُها على غيرِ هيئتِها، الحفنةُ التي أمتلكُها من قدراتي تختفي وتضيعُ لأنني لا أستطيعُ الفرارَ من

جسدي الملتصقِ بينهم. أهربُ إلى الأغنياتِ لأراقبَ ظلّي وظلّه حين كانا يحرقانِ الواقعَ مع الحطب، ويبعثران دخانَه مع صخبِ البحرِ والرياح.

أتذكّرُ صوتَ البحرِ وصوتي الذي لا يكفُّ عن الأنينِ حين كان يلمسُ جلدي!

"مثلُ الخبزِ أنتَ، حين تشحُّ لا أشبع، وحين تتوفّرُ لا أشبع، حين أجوعُك لا أشبع، وحينما يحينُ الشبعُ لا أشبع!"

صَباحُ الخَيرِ أيُّها العالَمُ.

ثمَّةَ سَكاكرُ في جيبي، والكثيرُ مِن الشوكولا بالبندقِ، وأُخرى بالقهوةِ لِيبتَهِجَ الصباح.

صَباحُ الخَيرِ يا عزيزي.

ثمَّةَ رضيعٌ في قلبي، يَبحَثُ عن لِحيتكَ!

أُغيِّرُ لَهُ الحفاض كُلَّ صَباح، فتفوحُ رائِحةُ الجَنَّةِ ويُزهِرُ النَّهارُ.

صَباحُ الخَير أيُّها الرَّجُلُ الأعزَبُ الذي يتكَوَّرُ كجنينٍ قُربَ وِسادَتهِ!

أمَا زِلتَ تَسبَحُ في رَحِمِ الفِراشِ؟

كَم عُمرُكَ الآن؟

وهَل عَلَيَّ أن أُناديكَ بِنَبرةٍ غاضِبَةٍ كَما كانَت تُناديكَ أُمُّك؟

مَتى سَتكبُر وتَترُك حُضنَ وسادَتِك؟

صَباحُ الخَيرِ أيُّها الشَّيخُ ذو اللِّحيةِ الطَّويلةِ.

أحبَبتُ أن أُذكِّرَكَ أنَّ اللهَ الرَّقيقَ قد أَدخَلَ امرأةً جَنتَهُ في كَلبٍ سَقَتهُ بِحذائِها المَليءِ بالخطايا!

أنا أَسقِي الكِلابَ وأشتري الكثيرَ مِن عُلبِ التُّونةِ لِقِطَطِ الشَّوارِعِ، وأعطِفُ على المُشرَّدينَ، وأَكفُلُ أطفالَ المَلاجِئ، وأُؤنِسُ المُسنِّينَ في دورِهم، لَم أَترُك طَريقَةً لِمُواساةِ جميعِ الكائناتِ التي احتاجَت يَدي إلا ولَبَّيتُ النِّداءَ.

لَم أُضيِّع فُرصةً واحدةً رَقَّ قَلبي فيها لِأحدٍ بائسٍ، ولكِنِّي أُضيِّعُ بَعضَ صَلَواتي وأُصلِّي جالِسَةً عندما يَكونُ جَسَدي مُنهارًا، ولَستُ على دَرجةٍ عاليةٍ مِن التَّقوى!

فشياطيني تَتَراقَصُ في عَقلي بمَجونٍ!

رَغمَ أنِّي أَستعيذُها بعَدَدِ شَعرِ رَأسي ورَأسِ أُمِّي ورَأسِ إِخوَتي جميعًا!

هل سَيَقبَلُني اللهُ؟!

أم سيُعاقِبُني لأنَّ المَلائكةَ كانَت تَلعَنُ نُشوزي كُلَّ لَيلَةٍ حتى الصباح؟!

أَستَحلِفُكَ بِكَ يا اللهُ أن تَقبَلَني فَأنا لَم أَقصِد!

صَباحُ الخَيرِ يا أَبي، كَيفَ تَرحَلُ وتأخُذُ زُرقةَ البَحرِ كُلَّها في عَينيكَ يا حَبيبي؟

كَيفَ أُلوِّنُ شُحوبَهُ الآن؟

صَباحُ الخَيرِ يا قائِمَةَ موسيقاي العَزيزَةُ التي تُرافِقُني في كُلِّ الأوقاتِ.

أنا أُحبُّكِ جِدًّا، وأُحبُّ فرانك سيناترا، وليونيل ريتشي، ولانا ديل راي، وأَنْجيلا.

صَباحُ الخَيرِ يا قِطَّتي الجَميلَةُ البَيضاءُ المُشاكِسَةُ ذاتَ الشَّعرِ النَّاعِمِ.

أنا أُحبُّكِ رَغمَ غَدرِكِ!

صَباحُ الخَيرِ يا أنتَ.

كَيْفَ حالُك؟
لَقَد نَسيتُ يَدَك على كَتِفي!
صَباحُ الخَيرِ يا وَجهي، أُحبُّ شَاماتِك وشَفَتيك!
صَباحُ الخَيرِ يا أَصابِعي، أنتِ تَفهَمينَ جَسَدي جَيِّدًا.
صَباحُ الخَيرِ أَيَّتُها السَّماءُ.
مَنِ الذي فازَ البارِحةَ في حَربِ النِّيازِك؟!
صَباحُ الخَيرِ يا واقِعي،
مَتى سَتَتَجَدَّدُ وتَصيرُ أَخضَرَ ولو قَليلًا؟

فِلْذَةُ حُلْمِي

إِذَا أَتَتْ فَتَاةٌ، سَأُسَمِّيهَا "قَمَر"!

سَأَجْعَلُهَا تَسْتَمِعُ -لِعُمَر خَيْرَت- وَهِيَ تَسْبَحُ فِي رَحْمِي، وَأَعْلَمُ أَنَّهَا سَتَنْجُو مِنْ جَسَدِهَا كَمَا فَعَلْتُ!

لَنْ يُعِيقَهَا جِلْدُهَا لِتُبَرْهِنَ لِذَاتِهَا أَنَّهَا أُنْثَى، وَأَنَّ الْمِفْتَاحَ سَيَبْقَى فِي جَيْبِ قَلْبِهَا وَلَيْسَ فِي جَيْبِ أَحَدٍ آخَر!

يُخَيَّلُ لِي أَنِّي عَلَى دِرَايَةٍ كَامِلَةٍ لَمْ نَتَمَنَّ أَنْ نُنْجِبَ ذُكُوراً، رَغْمَ رِقَّةِ الْإِنَاثِ وَحَنَانِهِنَّ!

إِنَّ فِي الْأُمْنِيَةِ أَمَاناً...

"أَمْنُ نِيَّةٍ"، رُبَّمَا هِيَ فِكْرَةُ الْأَمَانِ وَالنِّيَّةِ الْمَبِيتَةِ عَلَى تَحْقِيقِ الْحُلْم!

وَأَحْيَاناً كَثِيرَةً أَصْفُنُ لِأَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ، وَكَأَنَّهُ يَسْمَعُنِي، تَعَدَّى الْأَمْرُ كَوْنَهُ فِكْرَةً...

"سَأَنَامُ عَلَى قَلْبِهِ يَوْماً".

يَا بُنَيَّ، هَبْ لِي مِنْ ذِرَاعَيْكَ مُتَّكَأً،

وَسَل اللَّيْلَ أَنْ يَطُولَ فَإِنِّي مُتْعَبَةٌ،

رَأْسِي ثَقِيلٌ كَأَكْيَاسِ الْمِلْحِ،

وَجَسَدِي قَدْ تَحَمَّلَ قِصَصاً لَمْ أَتَمَنَّ أَنْ أَعِيشَهَا! يَا طِفْلِي السَّمَاوِيَّ الَّذِي ضَلَّ الطَّرِيقَ إِلَى رَحْمِي، لَمْ أَنَمْ لَيْلَةً إِلَّا بَعْدَ أَنْ رَسَا نَدَى قُبَلَاتِكَ عَلَى خَدِّي!

وَلَمْ يَذْهَبْ عَقْلِي فِي مَتَاهَاتِ الْحُلْمِ إِلَّا بَعْدَ تَسَلُّلِ أَصَابِعِكَ عَلَى شَعْرِي...

يَا "فِلْذَةَ حُلْمِي"!

لَقَدْ أَحْبَبْتُ رَجُلاً بِالْقَدْرِ الَّذِي يَجْعَلُنِي أُنْجِبُكَ، وَقَدْ عَاهَدْتُ رَحِمِي أَلَّا يُنْجِبَ ذَكَرَاً إِلَّا إِذَا أَحْبَبْتُ...

لَكِنَّ الْأَقْدَارَ -تُعَانِدُنِي-

"قَدَرٌ مَعْلُومٌ".

نَحْنُ نَتَمَنَّى لَوْ أَنَّنَا كَتَبْنَا أَقْدَارَنَا بِأَيْدِينَا، لِنَقْتُلَ الْمُسْتَحِيل!

لَكِنْ لَا فِرَارَ.

لَم تُسعِفني أُنوثتي بِحَلّ!

لَم أَتَعلَّم كَيف أَكُون أُمًّا.

امرأة مُتَوَتِّرة طُول الوَقت، لَم أَعلَم كَيفيَّة التَّعامُل مَع مَشَاكِلهِنَّ الصَّغِيرَة، تَفاصِيلهنَّ البَسِيطَة، أو المُعقَّدَة.

أورَثتُهُنَّ جَمِيع تَقَلُّبَاتي، غَضبِي، عَاطِفَتي، هَشاشَتي، جَمَالِي اليَائِس،

ابتِسامَتِي الخَافتَة، كُلُّ ما يَخُصُّ مُعَاناتِي.

إحدَاهُنَّ تُعَانِي على هَيئةٍ صَامِتَة، وإذا انفَجَرت لا أستَطِيع كَبحَها، والأُخرَى تَقفِزُ على الوَجع، أو تَندَفع نَحوَه!

تُعَانِقُه مُبتَسِمَةً، وتَصِفُه كَغَزَالَة يَقطُرُ مِن عَينَيها المِسك!

كِلاهُما تَهرُبَان مِن وَحدَتهِنَّ إلى وَحدَتِي، يَبحَثنَ عَني فيَجِداني فِي التَّوهَة!

أَنا امرأة مُتَوَتِّرة، تُوبِّخ نَفسَها كُلَّ الوَقت، مَكبُوتَة بالمَشَاعِر، عُوقِبتُ بالاعتِرَاف، فَعَاقَبتُ نَفسِي بالصَّمت الطَّوِيل!

لَم أُسأَل عَمَّا أُرِيد، ولا "أَعتَرِف" إن "اتُّهِمت" بما أُرِيد!

أُجبِرت، على الكَبت!

كَبتِ المَشَاعِر، البُكَاء، الغِنَاء، الضَّحِك، الحُزن، التَّبَوُّل، الاحتِياجات العَادِيَّة، الفِطريَّة، والجَسَدِيَّة.

كَان جَسَدِي لَعنَتِي، فَعَاملتُهُ مُعَاملَة الأَسِير.
أُمٌّ مَهمُومة بالأَمس، مُثقلَة بالوَاقِع،
مَقتُولة بالأُمنِيَّات.
لَم أُصلِح نَفسِي بَعد، ولم أَتأهَّب لأكُون أُمًّا.
فُوجِئتُ بالأُمُومَة، فانكَسَرتُ أمامَها.
لَم تُسعِفني أُنوثتي، بِحَلّ!
فلَيسَت كُلُّ أُنثَى أُمًّا، ولَيسَت كُلُّ أُمٍّ، أُمًّا.

تذكير

تذكير: لقد صَحَوْتُ منذُ قليل..
رأسي ما زالَ ثقيلاً كقلبكَ، وعيناي ما زالتا تجاهدانِّي على الصحْوِ كما يجاهدُكَ الشجَنُ حينَ تفرحُ قليلا.
تذكرتُ أنّي أحبُّكَ لأنَّ عينيكَ الحزينتينِ توصّلانِّي إلى دربٍ من الرغبةِ والحُزنِ لا أعودُ منهُ إلا وأنتَ تملأني بالكاملْ..
وكأنكَ نبتٌ من عظامي!
قل لي بربِّكْ..كيفَ لأنثى أنْ تُحبَّ رجلاً إلى حدٍّ ألّا حدَّ يستطيعُ إيقافَ شهيّتَها تِجاهَه، وأن يقودَني هزْليَ الصباحيُّ إليكَ وكأني أُهْرَعُ إلى الماء لأرويَ ظمأ اشتياقٍ!
المشاعرُ التي أحمِلُها -ثقيلةٌ- على جسدي، ولا أملكُ من القوةِ ما يجعلُني أتداركُ الأمرَ وأتخطّى شعوريْ، وأمضي لأُكملَ يومًا لا يبدأُ بكْ، ولِمَ لا يبدأُ بك؟!
إنّني أذوبُ في فكرة أن ترمُقَني عيناكَ حين تُهشّمُ الرغبةُ جمودَ الحدودِ وجمودي، فتوصِلَني إليك دونَ تفكيرٍ وحسابات.
تذكيرْ: عيناكَ جحيمٌ أوقِعُ نفسيَ فيهِ كلَّ صباحْ.
وقتَها تختلطُ عندي المُسمَّياتُ فأتوهُ بينَ معنى أن تُخرِسَ ذاتَك التي تتمنى، وبين أن تُجاري واقِعَك الذي تدفعُهُ دفعًا ليَمضيَ اليومُ بشكلٍ طبيعيٍ دونَ أن ينكُزُني الخيالُ ويأخذُني إليك رغمًا عنّي، فأسيرُ بينهم دونَ تركيزٍ أو هُويةٍ، مسلوبةَ العقلِ كفاقِدي الأهلية!

كيفَ يتعاملُ شخصٌ عاقلٌ، وسويٌ وحكيمٌ، ومتزن، وواضحٌ جدًا معَ نفسِهِ ومع الآخرينَ، لحظةَ تسلُبُه أفكارُه من نفسِه وممّن حولَه فتخطفه من سخفِ الواقعِ إلى جنّة عقلِه، وأفكارِه!
هو شيءٌ مأساويٌ على الأرجح.
كيف أتعاملُ بنصفِ عقلٍ حينَ يكونُ معكَ النصفُ الآخر؟
وكيف أهرُبَ منك وأنت متشعبٌ بدمِي كاللعنة!
تذكير: أنا الآنَ معهم لكنّي لا أراهم، شتانَ بينَ البصرِ والبصيرة!
أشربُ قهوتي الآنَ لأوقِظَ الوعيَ الغافي بحِضنِ الأحلامِ، فتمرُّ عيناك كقاتلٍ أرمُقُه برحمةٍ حينَ يقتُلُني بشغَف.
البارحةَ تأملتُ وجهكَ لوقتٍ طويل، قسمتُه إلى نصفين، اكتشفتُ أن النصفَ الأيسرَ شرسٌ وغاضبٌ، والأيمنَ حزينٌ وشارد.
لم أكترثْ للاستنتاجِ الذي آلمني فيك، جمّعتُ النصفينِ وقبَّلتُك، ونويْتُ صدَّك في اليومِ التالي!
ما زالت شراسةُ الرفضِ تتمكنُ منّي حتى وأنا في أوْجِ احتياجي..
جسدي الذي يقاومُ عزيمَتي دائما.
يؤلمُني جدًا كلما رفضتُ أن أستسلِمَ لشعورٍ عاطفيٍّ يتملّكُني!
يحاولُ أن يتداعَى رغم صمودي وصلابتي، أحاولُ التشبثَ بعامودِيَ الفَقَريِّ، لكنّه يُفلتُني فتؤلمُني قدمي فلا تحملنُي، فتسعفُني المسكّنات.
ما زلتُ صامدةً ولم أتداعَ.
تذكير: أنا الآنَ في العملِ، أتعاطَى وجوهَ البشرِ بابتسامةٍ مُخدرةٍ، لأُسايِرَ الواقعَ وأحيا.

رسائل إلى الله

أُخْفِي رسائلي إلى الله، أَطْوِيها مئة طية، أجعلها بحجم عُقْلَة إصبع، وأضعها في جيبي الأيسر بجانب قلبي. ربما لأني أظن أن رسائلي إليه لا تصل، أو أنه لا يراها في قلبي، فأكتبها على ورق لتكون واضحة. أكتبها بخطٍّ عريض، رجوليّ، مستفز، غاضب، وأردد بصوت خافت: "سيراها هذه المرة، لا بد أن يراها!".

أنتظر الصباح الآتي، والصباحات التي تليه. أخرج إلى الشرفة، أفرغ جيبي الأيسر من الرسائل المتكدسة، أفتحها جميعاً، وأبعثرها في الهواء كفراشات، أحررها نحو الضوء فتلمع الكلمات وتطير. فيفرغ الورق ويتحوَّل إلى قبور فارغة، وتتحرر روح الكلمات!

الكلمات المليئة بالاستجداء، والبكاء، والصراخ، والنداءات، والضحكات، والذكريات.

وجوه تفلت ملامحها، موسيقى متخمرة، تفاصيل برائحة البلاد، قلق، أغنيات معتقة. تشرد، سرقات، خطوط يده الكبيرة، يده المستفزة التي علمتني القتل، علمتني كيف أذبح نفسي وأذبحه!

موته وموتي، صوره التي لا تكف عن حبسي في سجنها، ضحكاته، صوته الذي لا يفارقني.

صمته، اتهاماته، لومه، جسده الذي يتعرى، فأحبه أكثر!

جسده المظلم كقلبه، جسده الذي يخرج يده من الورق ليتحسسني! ليسقطني في مطحنة تدور ولا تتوقف! مطحنة تلوكني، تطحن لحمي ودمي، فيأكلني كوجبة طازجة بعد أن طُهيت على نار هادئة!

يتناولني بهدوء، بكل دموعي دون أن يجرحه بكائي!

كل هذا يتطاير من الورق!

أراقبه، أراقبني، ونحن نتطاير معاً، نخرج من الورق. تأخذنا الريح، نتعانق في الهواء كنقطتي مطر اجتمعا أخيراً بعد حرب ضروس على أرض لم تمطر فيها السماء طوال مئة عام من الجفاف!

ارتكبنا خطأً فادحاً عندما خرجنا من فروج أمهاتنا!

لم يكن عليك أن تأتي، لم يكن عليَّ أن أكون هنا، الأرض لم تكن مؤهلة لنلتقي!

نحن روحان من نار، شيطانان لم يكن عليهما أن يولدا قط!

كيف لله أن يسمع رسائلنا؟

لابد أن نبقى طريدي الرياح!

مطرودين من الجنة!

شيء حزين أن يرمينا الأمل في أرض الهواجس، نصرخ...

نريد أن نحيا، لكنا نرنو لوساوسنا!

كنا نظن أننا اهتدينا، لكننا لم نهتدِ!

شيطانان نحن!

شقيّ، ومتمردة كانت تظن نفسها قديسة!
لكنك لم ترها إلا في ثوب الإثم!
فصدقتك، وقررت أن تترك خلفها جثثاً!
صدقتك، كلعوب تصطنع الرغبة، تنحني لتسحب الأجساد إلى مذابحها، تسير ببرود ووحشة!
تسير عارية لتغري العيون، ولا تترك عنقاً إلا وسحبته لتذبحه، وترمي دمه على الطرقات، وتدندن بصوت مغرٍ!
تنظر إليك وكأنك تباركها، تصفق لها مبتسماً، وتهمس: "لقد دربتها لتكون عنيدة، جبارة!"
تخطو بقدميها العاريتين فوق رصيف الظنون!
تفتخر قائلاً: "هكذا دربتها، بهذه الشراسة، بجبروت كافر! لأن العالم يحوي ذئاباً! هكذا ستحيا من بعدي!"
أنا الشيطان الذي رماها بحجر شطرنج واحد، فأوجعها ليعلمها!
لذلك لن يراها الله، ولن يراني!
نحن مطرودان من الرحمة، من الجنة، من السماء!
ومن طبيعة الشيطان أن يختار رفيقاً لرحلته الأخيرة!
سأنتظرها هناك، في الجحيم!
حتى تأتي.

ستلتقيان صدفةً!

ستلتقيان صدفةً، على الرصيف المقابل لعملك، أو في صالة الانتظار في محطة قطار لا ينظر فيها أحد لأحد، أو في الباحة الخلفية لبيتك وأنت تربت على زهرة خزامى وحيدة لتواسيها!

ولأن الجميع تطحنه الحياة وينتظر سحرًا ما، ستحبها، لأنك ستشعر فجأةً أنها تذكرك بأمك، حين كانت تدفع عنك العالم وتقف في المواجهة في محاولة للتضحية بنفسها في سبيلك.

ستحبها، لكونها تعري مكنوناتك الداخلية ببراعةٍ وحنوٍّ، كمن يمتلك القدرة على اكتشاف المنطقة التي تؤلمك ولمسها دون الحاجة لشق صدرك بمشرط حاد!

ستحبها حتمًا، لأنها تشبهك إلى الحد الذي يجعلك في حيرةٍ، فرغم أنها ليست أنت، ستتساءل ما الذي يجعل قلبها ينبض -في صدرك- وما السبب الذي يجعلك تشعر أنك نسيت ذراعك أسفل كتفيها؟!

لماذا يبدو الأمر وكأنكما بدلتما أنفسكما فباتت كل نفس مكان الأخرى!

سيباغتك شعور هائل -بالندم- لمجرد تخيلك لوجهها الحزين حين يترقبك أمام بيتك ويتوسل مرورك أمام نافذتك المضاءة وأنت مع أخرى.

-مجرد التخيل- سيجعلك نادمًا على فعل الخيانة! قبل أن تفكر حتى في فعلها!

ستشعر بأن أعصابها متصلة بدماغك، وبأنكما تتشاطران نفس الألم أيا كان مصدره أو سببه!

ستحبها جدًا، بحيث ستشعر أنها كطفلٍ أرسل إليك عبر النهر!

وليس هناك مكان لتخيل فكرة التخلي!

لن تأمن عليها صخب الحياة وخيباتها، إلا وأنت تدثرها بين ذراعيك في الليل، بينما هي تتمسك بأصابعك كضريرٍ يخشى أن يفلت خيوط الضوء فيبقى متشبثًا بها!

ستتعجب الصدف التي جمعتكما معًا، وكيف أنها لم تكن متوقعة، وربما كانت الإشارات عليها ليست مفهومة، ولكنها حدثت لتكونا معًا.

وهذا -المعنى الخفي- في القصة هو ما يجعل فراقكما مستحيلًا.

مُتَّكأٌ تستطيبه

لو تتبعتَ جسدي ستعلم أن كلمة "شكرًا" تعني الكثير، لم يكن الأمر مجرد لامبالاة كما فهمتها!

أنت لا تراني الآن، ولا تعلم واقع مشاعري حين قلتها..

"شكرًا" تعني: أنا هنا، أنتمي إليك، أحبك، أشتاق لمسك.

خُذني، تعال أعانقك لننحر هذا البُعد!

لو أنك سمعتها بصوتي، ورأيت جسدي وهو يحاول ترجمتها بكل حواسه، لأَسَرك وَقعها عليك، ولأغرمتَ بي أكثر، من أن تكون مجرد كلمة أغضبتك.

أنا أعي خوفك جيدًا من فكرة أننا جسدان متعطشان لبعضهما الآن، لكننا لا نلتقي.

نحاول ملء البُعد بكل السبل المتاحة، لنشعر أننا متلاصقان رغم المسافة!

أعي قلقك، وخوفك من فكرة أن يتلاشى شغفي بك، ويرعبك فقداني!

أعي كل الهواجس المرتبطة بذلك!

أحيانًا نرتبك، ولا تسعفنا الكلمات.. توترنا!

لذا أتحسس الكلام قبل نطقه، وأتحسس قلبك قبل التلفظ بحرف، لمجرد التفكير أنك تعاني حساسية زائدة لأسباب كثيرة، وقد يقودك ذلك لهدم جسور النور بيننا.

لو أن هناك طريقة تجسدك الآن أمامي، لترجمتُ ما أردتُ قوله دون صوت!

أُعاقب الحرف الذي قد يجرحك بهجره، وأصنع لك عالمًا من الكلام يمهِّد لقلبك الدنيا، كمُتَّكأٍ تستطيبه.

اختلالٌ نفسي!

عندما التقينا، لم أكن أعلم من أنا!
ذابت ذاتي فيك، تسربت حواسك تحت جلدي، وكأنك كنت تبحث عن امرأةٍ تُكملك، وتُذيب جمودك!
أنثى تضفي بريقًا على روحك!
صِرتَ وجهي!
كلُّ ما كان ينقصك، كان متأصلاً في ذاتي على فطرتها الأولى!
صِرتَ أنت على نسختك الأنثوية!
تقمَّصتك، بِتُّ شَرِهَةً في كل شيء،
العاطفة، المُضَاجعة، الهوس، الاختلال النفسي!
اتَّحدَت النرجسية والحدِّية فينا
على أشدِّ أشكالها، فبتُّ صنيعتك
بكل ضعفي وجبروتك..
وحين كنتُ أختنق في جسدك ولا أجدني، أتمرد!
أرفع رأسي من عمق ذاتك، أحاول الانسلاخ!
تتسرْبل أصابعي بين خيوط شعري!
أخلع جلدَة رأسك لأصل إلى جمجُمتي!
أكسرها، فأجدني عاريةً في ظلمةِ القاع!

أعصر معدتي، أفرك سرَّتي، فأتسرب من مساماتي وأطفو على السطح!
تنبثق روحي على هيئة قطرات عرقٍ تركض على جلدي بجنونٍ وعشوائية!
تصرخ بهستيرية، معلنةً كسرَ قيودك!
ألتفت إلى المرآة لفتةً خاطفة،
فلا أجدك، أنتكس..
أشعر بنقصك في دمي، أحتاج أن أحقن بك أوردتي!
أحتاج لفورانك داخل رحمي!
أن تتشعَّب بأعصابي، وتصطدم بعقلي!
فتتفجَّر تحت جلدة رأسي، وتتشظَّى من لؤلؤتي مبيضي كالدماء!
تتفجر، كما يتفجر الأدرينالين، والدوبامين!
أعود إليك بكل هزلي، جاثيةً أمامك على ركبتي، خاضعة!
فتخرج مني على هيئتك بحاجبين مرتفعين، وواثقين، وشفةٍ غليظةٍ وقاسية، وقلب أهوج، وملامح هادئة!
واضعًا يدك على رأسي وكأنك -سيد- تبارك عودتي!
أحيانًا يجعلنا الحب هكذا، سيدٌ وصنيعته!
مذ افترقنا، لم أعد أعلم من أنا!
هل أنا أنت؟ أم أنت أنا!
بِتُّ أنفذ ما كنت أؤمر به دون مقاومة!

لا أُحدِّث الغرباء. ألتقط صورًا كثيرة لوجهي، وأحتفظ لك بأجملها!
أبقي شعري مضيئًا كخيوط الشمس!
يتضاجع قلادتان على رقبتي!
هديتك، لا أقوى على خلعهما!
تسيل منهما على نهدي، وتتغلغل من جديد في مساماتي من لحمي، إلى دمي وعظامي!
أحرص على إطفاء الضوء الأخضر بعد خروجي من كل الأماكن المزدحمة، أتأكد من إغلاق جميع المنافذ التي قد تسمح لرجل غيرك بالاقتراب.
أُغلِق عليَّ جميع الأبواب، أطفئ وهج نهدي، وعيني!
أكتم أنَّاتي، ولا أُصدر ضجيجًا!
وأجثو على ركبتي في منتصف العمر، بين أربع جدران!
منذ افترقنا، خلعتُ عيني!
أطفأتُ ضوء الأيام!
أسكتُّ حولي جميع الأصوات!
وصوتك وحده يجعلني أتبعه في عتمتي!
لم أعد أرى سواك..
لم أعد أرى سواك.

هدانا الفراقُ

أُحِبُّ أن أعيشَ وَهمي، أَخْتَبِئُ في اعتقادي أنكَ أحببتني حَقًّا، وبأنكَ الآن تُعاني فِرَاقَنا، وتُخرج ملامحي وابتسامتي التي خَمَّرْتَها في جُيوبك.

أنْ تَتَذَكَّرَ كم قلتَ لي إنَّ وَجْهِي غَيْمَةٌ تُرَافِقُكَ حينَ السَّفَر،

تجلسُ بجانبِكَ في الطائرة لتُؤْنِسَكَ!

أنْ تُربِكَكَ مُوسيقانا كلما سمعتَها، ويجعلكَ الليلُ تَهذِي وتَتَصَلَّب، وتُفْرِغ ذهنكَ من كلِّ تفاصيلِي لتَعْتِقَها، تعبِّئها في كَأْسٍ وتشربها، فَتَسْكَرَ! فيُلِحُّ عليكَ قلبُك كي تأتي!

أنْ تَتَعَرَّى من كنف قسوتك وتكونَ أنا على هيئتِكَ الحقيقية، تنظرُ في المرآةِ لتُبصرني!

أنْ تَسْقُطَ في مِطْحَنَةِ هذا الفِرَاق،

فتنقذَك نجمتان تُشبهان عينيَّ، تقتبسُ منهما نوري فتُضيء!

أنا أرتعِدُ معكَ الآن، أنا هنا، وأنتَ هناك، أن نلتقي في المُنْتَصَف!

ما بينَ الصمتِ والكِبْرِيَاء، في المِنْطَقَةِ التي لا اسمَ لها سوى الشَّوْق!

كَسَرَيْنِ بينَ الظِّلِّ والرُّوح!

نلتقي فيجري نهرُك بين جبلي المتصلبِ العنيد، فينقسم!

أنْ يَطْحَنَني الجوعُ والحُزْن، فأخترَعَك في كلِّ ما يُشبِعُني، وكلِّ ما يجعلني أرتجِفُ، من الفَرَح!

وإن مرَّ في شُرُودِ قواربي طيفٌ يُشبهكَ، أرتعِش، فتخرج من خطِّ كفِّي كَحِضْنٍ أَتَدَثَّرُ به!

ارتكبنا معضلةَ العُشَّاق، عندما أَرْهَبَنا وُجُودُنا معًا!

أنتَ تترنَّم الآن بجوعكَ إلى جمالي وحُبِّي، وأنا أصيرُ غُبارًا هنا، وأَخْتَفِي، فلا يستفزني جمالي لأنمِّقَهُ لأحدٍ غيركَ، ولا تُبْعَثُ بي نشوةٌ للحياة!

كانت الحياةُ هنا ونحنُ معًا..

ما أغربَ رغباتِنا عندما تَخْبُو، لتُذَكِّرنا أنها لم تُخْلَق إلا لمن أشعل حواسَّنا بالعشق!

أجسادُنا الحارَّة لا تَنفَعُ لأحدٍ سِوانا!

هي الآنَ تُحْرِقُ نفسها، ويُخْمِدُها رَمَادُها!

لقد اهتدينا على يَدِ الفِرَاق، صِرْتُ فيكَ راهبة، وصِرْتَ قِدِّيسًا رغمَ شياطينك!

هَدانا الفِرَاق، وما كنا لنهتدي أبدًا.

لم تستطعِ السَّماءُ أن تُنهيَ الأمرَ

هَل لي أن أحتفظَ بكَ في جَيْبِي؟
سأحتاجُكَ لاحِقاً! عندَما أسكُبُ العَسَلَ على كتِفيَ الأيسرِ بِجانِبِ القَلْبِ، فيسيلُ إلى نِهايةِ أصابِعي
التي تَعرفُ كيفَ تُعانِقُكَ جيِّداً بِحَمِيميَّةٍ مُفْرِطَةٍ في ذاتِ "الجَيْب"
كُن هُنا دائماً سأحتاجُكَ لاحِقاً حينَ يضعُفُ بصري من كَثرةِ البُكاءِ!
أحبُّكَ كما أُحبُّ الفُستُقَ، واللَّونَ النبِيذِيَّ، وشَعْرَ قِطَّتي، والسَّماءَ حينَ تَعوي من الألَمِ، وتصمُتُ لأن لا أحَدَ يسمَعُها!
النَّاسُ مَشغولُونَ في الأسفلِ، ولا أحَدَ يَسمَعُ عَويلَها في الأعلى!
فقط بضعُ نَجماتٍ يائِسةٍ، وشِهابٌ عابِر!
أحبُّكَ كما يفعلُ المُشرَّدُ بِغِطائِه، يَطويه، يشُمُّه، يُخبِئُه خِشيةَ أن يُسرَق!
يحتاجُ ثِقلاً فوقه، يتَخيَّلُهُ جسداً، فيَضمُّه!
الحَياةُ مُغلَقةٌ، ولا تَجارِبَ لي!
فقط أنتَ وكَثيرٌ من الخَيباتِ العائِليَّةِ، وما تيسَّرَ من الصَّدماتِ الإنسانِيَّةِ، والخَوف!
الحياةُ مُغلَقةٌ، وهُناكَ طَنِينٌ في أذني، وليسَ لديَّ تجاربُ كافيةٌ لكِنِّي شاهدتُ ما يكفي من الأفلامِ،

لأكتسبَ خِبرةً في التَّقْبِيلِ، والمُضَاجَعَةِ، وطَيِّ الملابِسِ، وصَنْعِ القَهوةِ، وإعادةِ كاحلي إلى ما كانَ عليهِ قبلَ أن يلتويَ، وأتعثَّرَ بقدَري!

لديَّ الآنَ خِبرةٌ كافيةٌ لطَهْيِ نفسي على نارٍ هادئةٍ، واستِعادَتِكَ من العَدَمِ.

أحبُّ الرُّموزَ، الكلماتِ المتقاطِعةَ، والجُمَلَ التي لا تشبِهُ بعضَها!

تَشتُتُ الحُروفِ، تَجْمِيعُها، وَصلُ فراغاتِها، تَقاطُعُ اللغةِ

صُنْعُ جُملٍ مُتناقِضَةٍ لا تؤولُ إلى معنى!

تحتاجُ الكَثيرَ من الفِطنَةِ لتَرَى ما بَينَ السُّطورِ، لِتُفهمَ جيِّداً.

مرةً كَتبتُ قَصيدةً رمزيَّةً!

خَيْطٌ، يُغوي قِطَّةً، لَوحةٌ زيتيةٌ لامرأةٍ عارِيةٍ تَرتَدي وشاحاً من الساتانِ، يُغطي نَهدَها الأيسرَ

وعانَتَها!

يَسيلُ لُعابُ رغبتِها على الجدارِ

يَنجَرِفُ كنهرٍ، ويَملأُ الأرضَ الخَشبيَّة!

يَنتصِبُ الخَيْطُ، تتبلَّلُ القِطَّة، فيَصرُخُ المَنزلُ بأكملهِ..

فوضى، فوضى!

ليسَ لديَّ ملامِحٌ، لا أعضاءٌ تناسُليةٌ، ولا جسد!

استعرتُ جسدَ راهبةٍ، وفرجَ عذراءَ

جِلدٌ يَنتَشي، وَبَرٌ يستَنفِر، يَديكَ، اهتزازاتٌ مجنونة، وألفُ آهٍ تَشُدُّك، لتَبقى هُنا!!

فعلِمتُ ماهيةَ اللقاءاتِ العاصفةِ،

كارِثة... كارِثة!

كَبيرةُ السَّماءِ، ليست بعيدةً، وليست قريبة!

أراكَ فيها على بُعدِ إصبعينِ، وذِراعٍ بطُولِ العُمر!

ثماني وثلاثونَ خريفاً قاحلاً، وربيعٌ واحدٌ جَعَلني أهتزُّ بكَاملي!

من جُذورِ شَعري حتى أخمصَ قدمي!

هو وأنا غَوايةٌ وشَبَقٌ لا ينضب..

براكينُ، تَخرجُ من كلِّ حدَبٍ وصَوب!

زلازِلُ، وآلافُ النتفِ من الثَّلجِ والعَرَق، نُطَفٌ، وأجنَّة!

بَطْني يَغلي..

ليسَ في وُسعِ السَّماءِ أن تُنهيَ الأمرَ

أخبرتُ اللهَ بكلِّ شيءٍ، ولا فائدة!

كلُّ الأشياءِ تَغلي بصمتٍ

هُناكَ رائحةٌ في الهواءِ تُشبهُ رائحةَ اللهِ، شفافِيَّةُ الريحِ تُصدرُ نسيمًا مُحملاً برذاذٍ معطَّرٍ ورقيقٍ، يَرسو على الذاتِ وتفوحُ منه رائحةُ القهوةِ ممزوجةً بالتفاحِ، وشيءٌ من شرودِ ليلكةٍ بنفسجيةِ اللون!

لا تَذبلُ، ولا يتغيرُ لونُها، ياسمينةٌ بيضاءُ تُضيءُ تحت شجرةِ ليمونٍ!

السماءُ صافيةٌ وكأنها تتلألأ بشجنٍ خفيفٍ!

عبيرُ نعمةٍ تُغني -بعدني بحبك-

رغبةٌ بالبكاءِ تختبئُ في صوتِها وهي تقولُ:كلُّ شيءٍ خَصَّه فينا بيزعلني

وحيث تستجديه وهي تقولُ:

"قلبي عتبان"

أراقبُ الظلالَ، وأتساءلُ ما السِّرُّ بينَ الظلِّ والروحِ؟

في قلبي شعبٌ من الظلالِ حين يذهبُ!

تكونُ الحياةُ كوطنٍ ينكسُ أعلامَه! ترتجفُ نافذةٌ منقوشٌ عليها اسمه، أفتحُها، فيسيلُ لونُ القمرِ الفضيِّ مُختلطًا بظلامٍ يترنمُ متراقصًا على جلدي!

كلُّ الأشياءِ ترتعشُ في صمتِ هذا الليلِ.
ما زالَ الفراشُ يحتفظُ بجسدينا حين قفزا من مخيلتي وغاصا في شهدِ الرغبةِ!
شهقاتٌ تدورُ فوق السريرِ، تنهداتٌ تحاولُ أن تنالَ قبلةً، تغرقُ ما بينَ هجيرٍ وذكرى!
رغباتٌ معلقةٌ في شفقِ مصباحٍ خافتٍ، لهبٌ يستهلُّ أن يوقظَ في القلبِ ما سلبه عنادُنا!
حنينٌ إلى أصابعه الآثمةِ، مسيرةٌ من اللمساتِ المُشرَّدةِ تسيرُ ما بينَ انتصابِ شعيراتِ جسدٍ، يَقودُ نفسه إلى هلاكه كلما دندنَ شوقه في غضبٍ مكبوتٍ، تَغلى جوارحُ لم تستطعْ أن تحيلَ شوقَها رمادًا!
ينتفضُ فيضانٌ محمومٌ يسيلُ من بينَ أخدودين من بياضٍ، يسيلُ بصمتٍ ووحشةٍ!
تتحسَّسُ أصابعي شفتي وكأنها تتحسَّسُ بصماته حين كانت تغلي كأخدودٍ!
ألملمُ ما تبقى من لقائنا الأخير، أوقظُ الشوقَ على سرابه!
هذا الليلُ صاخبٌ رغم سكونه،
كلُّ الأشياءِ تغلي بصمتٍ وتنتفضُ.

كان ياما كان

عَلَى الْمَاشِين خَلْفَ رَكْبِ النَّهَار
أَنْ يُنْتَبِهُوا، الشَّمْسُ تَغْرَقُ كُلَّ مَسَاءٍ عَلَى شَفَةِ الْمَدَى، لِتُوَلِّدَ فِي بَلَدٍ آخَر!
تَخْتَرِقُ نَوَافِذَ الْمَعَابِدِ، وَالْبُيُوت!
تَمْتَطِي الْأُفُقَ لِتُغَطِّي السُّهُولَ، وَتَدْفِيءُ أَمْوَاجَ الْبَحْر.
كَانَ يَامَا كَان..لَا مَكَانَ يُذَكِّرُنِي بِيَوْمِ وِلَادَتِي، وَلَا - وَطَن -
هَذَا الْعَالَمُ الْمَسْحُورُ - لَيْل -
يَسْتَسْلِمُ لِمَعَانَاةِ زَنْبَقَةٍ وَحِيدَة، بَيْنَمَا يُرَاعِي قَوَانِينَ الصَّمْتِ يَسْتَسْلِمُ لِجَدَالاتِ رَأْسِي!
رَأْسِي، الَّذِي يَصِلُ إِلَى ذُرْوَةِ الْحُرِّيَّةِ عِندَمَا يَصْنَعُ مِنْ جِسْمِهِ قَارِبًا لِإِنْقَاذِي! يَقْذِفُ مَائَهُ فِي رَحِمِي،
فَتَخْتَلِطُ الْحَقِيقةُ بِالْوَهْم!
لَا أَمْتَلِكُ بَقِيَّةَ عُمُرِي، وَلَا أَعْلَمُ مَاذَا يَحْدُثُ خَلْفَ رَشْفَاتِ الْكُحُول!
أَهَذِي، بَيْنَ الْغَفْلَةِ وَالْوَعْيِ!
تَشُدُّ سَمْعِي أَصْوَاتُ الْمَآذِنِ فَأَطْمَئِنُّ!
أَتَجَمَّهَرُ بِكُلِّ أَقْنِعَتِي أَمَامَ نَوَافِذِ اللَّه!
يَتَقَافَزُ مِنْ رَأْسِي أَطْفَالِي الَّذِينَ لَمْ أُنْجِبْهُمْ بَعْد!
يُفَاجِئُونِي بِالْمُوسِيقَى وَالْحَلَوَى، يَحْضِرُونَ وَلَائِمَ - الْجُمُعَة - فَأَلْتَهِمُهَا مَعَهُمْ وَأَنَا هَازِئَةٌ مِنْ عُمُرِي!
أَنَا الَّتِي لَمْ تُنْجِبْ سِوَى أَوْهَامِ رَأْسِهَا!

مُحَاصَرَةٌ بَيْنَ أَفْكَاكِ أَطْفَالِي الْجَائِعِينَ!
مَسِيرَةٌ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ تَمْشِي عَلَى نَهْدِي مُتَعَطِّشَةً لِحَلِيبِي!
يَمْتَصُّونَ أَحْزَانِي غَيْرَ آبِهِينَ، فَأَمْنَحُهُمُ الْمَزِيد!
يَتَقَاذَفُونَ مِنْ رَحْمِي، أَوْ مِنْ رَأْسِي!
لَا أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ يَأْتُونَ!
يَهْبِطُونَ عَلَى قَلْبِي كَنِقَاطِ مَطَر!
تَرْوِي ظَمَأَ الرُّوحِ، وَبِحنو يَسْحَبُونَ قَلْبِي نَحْوَ النُّور، يُقَبِّلُونَ خَدُّودِي، وَيُغْلِقُونَ عَيْنَيَّ الْغَائِرَتَيْنِ فِي الدَّهْشَة!
يَحْشُونَ رَأْسِي بِالْحَلَوَى وَالْمُوسِيقَى
يَعْبُرُونَنِي كَجِسْرٍ مِنَ الْوَاقِعِ إِلَى الْحُلْم!
مَا بَيْنَ الْفِكْرَةِ وَالْحَقِيقَةِ، أَتُوه!
تَتَزَاحَمُ حَوْلِي ظِلاَلُهُمْ، تَتَكَاثَرُ!
يَخْلُقُونَ دُنْيَايَ الْمُوَازِيَةَ، وَيَلْعَقُونَ جُرُوحَ الْمَاضِي، يُبَارِكُونَ الْوَاقِعَ بِنَتَفِ ثَلْجٍ تَتَسَاقَطُ مِنْ أَجْنِحَتِهِم،
أَتَرَاقَصُ تَحْتَهَا كَزَنْبَقَةٍ بَيْضَاءِ، أَدُورُ حَوْلَهُمْ، وَأَضْحَكُ، فَيَضْحَكُونَ.
يُضِيءُ الْبَيْتُ، يلْمع!
يَصِيرُ دُرَّةً بَيْضَاءَ تَتَلَأْلَأُ!
فَيَرَاهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ككَوْكَبٍ دُرِّيٍّ
فَيَبْتَسِمُونَ، وَيَتَنَاقَلُونَ الْخَبَرَ!
عَلَى الْأَرْضِ ثَمَّةَ فَرَحٌ..
أَطْفَالٌ يَغُنُّونَ، وَالْكَثِيرُ مِنَ الْمُوسِيقَى وَالْحَلَوَى.
أَجْرَاسٌ تَدُقُّ نَوَاقِيسَهَا، مَآذِنٌ، وَطُيُورٌ.

ذرة غبار تهيم في الريح.

كم هو قاسٍ الصدى حين يرج رأسك، فيهتز عقلك ويلقي بكل خيالاته، فيحيل الواقع ظلاً!

كم أخاف نفسي حين تقتلني شكوكي، ثم يؤكدها حدسي!

كم هو مقلق أن ترى أفكارك متجسدة أمامك!

تجز عنق الوقت وتلوي قلبك،

وتحولك إلى وحش ينهش نفسه لينتقم من إحساسه أنه كان على صواب، ولأنه لا يرى نفسه جميلاً رغم صدقه، ينهش نفسه لينتهي ويتلاشى في صمت، فينساه العالم!

هو يقنع نفسه بأن له وجوداً وأنه يعاقب العالم بالتخلي عنه!

رغم علمه أن العالم لا يكترث!

لا أحد يكترث، لحزن غصن جاف يتداعى على شجرة، شققه العطش، لم يبحث عنه المطر لأن السماء لا تراه، ولا تدري بوجوده!

على حافة الريح تجلس ذرة غبار تحلم بأن تكون شجرة، لكن الرياح تدفعها من مكان إلى مكان، يناديها النهر كي تتبلل لتثير الضوء، فيعانقها ويروي عمقها الداخلي، فتصير فقاعة!

تلمع وتطير في الهواء، تعلو وترتقي ليبصرها العالم!

تود أن تفارق العدم ولو لمرة، تود أن تولد على خد امرأة فتصير دمعة، لكنها لا تستطيع أن تصنع نفسها من جديد، وتعلم أنها فشلت في أن تكون شجرة أو فقاعة أو دمعة، وليس هناك سوى حقيقة واحدة، ستبقى ذرة غبار تهيم في الريح ولا يراها أحد!

كم هو قاسٍ الجسد!

حين يقسو على جلده، ويدفن بين عظامه ضوء الحياة، يرتجف ولا يسمح بنيران مشاعره أن تشتعل!

يحرس اضطرابه، ويتسع في عدمه، ويمد لقلبه ضحكة مكتومة خشية أن تستيقظ سعادة تباغته، وتراوغه وتمضي لأنها ليست له!

تود العين أن ترى وجهاً تحبه، تشتهي الأصابع أن تلمس وجنتين تعشقهما، بشرة تستفز موت جلدها، فتوقظ قشعريرة تصدح للربيع، وتحيي زهراً أحمر اللون، على شحوب شفة لم تعانق قبلة تشعل جمر القلب!

كم هو قاسٍ الذبول، حين يستهلك نضارة لم تستهل لتعلم نفسها!

كم هو قاسٍ الفزع حين يؤكد لنا أننا لابد ألا نجهر بالشجاعة، لنكون ما نريد.

كلُّ الأشياء تقتلها، من الضحك!

المرأة على صورتها الخام، التي تحبُّ النظر للألعاب النارية لتبقى في الأعلى، تحيك من أضوائها
فساتينَ ملونة تسبح في الغيوم
كطيورٍ مهاجرة، لتلتقي بالحب،
وتعقد عهودًا كثيرة مع القدر!
المرأة المعجونة بكل ما هو فطري
التي تخترع رائحةَ المشمش، لتشعرَ بالرغبةِ في عالمها المحسوس!
تستحضر مشاعرًا تدومُ أكثر من الأشياء!
تختلق أصواتًا، تنحت منها آنيةً للزهور لتتواصل مع نفسها في روح زهرة.
المرأة الممزوجة بالبريق والنور
التي تلمع، لينفذ سحرُها إلى الحاضر!
تحتج -كبرلين- حين ثورة!
تجتاز عوائقها لتوجد -لغتها- وتخلق منها كائنًا -حيًا- لتنتشي معه!
تسكن في غريزتها، لتكتشف الفرق بين الماء والنار.
المرأة التي تقشر أفكارها من الذاكرة، لتقدر على تبيان الطريق!
تغذي الواقع من وعيها وتسرد الحكايا، لتؤكد وجودها.
المرأة التي تضحك على معدةٍ خاوية!

في الليل، عندما يشتدُّ -الأسى-
كلُّ الأشياء تجعلها تنفجر من الضحك!
الوحدة، الغرف الفارغة، الخوف، الأيدي المهتزة، المرآة، الذكريات، الندوب!
حين تجوع، تضع أحمر الشفاه!
ترتدي عواصفها على جلدٍ يسخر من وحدتها!
فتقتلها كلُّ الأشياء، من الضحك.

أغنيات

علينا قرع الأجراس، لِتأتي الطيور!
أجلسُ مُتَّكئةً أمام النافذة أُدخّن السيجارةَ العاشرة!
أغني، لِأستقطبَ سمعَ عصفورٍ تائه!!
ألتفتُ إلى الغرفِ المعزولة
في رأسي!
أغزلُ من خيوطِ العنكبوتِ أشعةَ شمسٍ، أجعلُها تُغنّي معي!
وأتساءل: لمن يجبُ أن تكون أصواتُنا؟!
التقيتُ به ما بين الهُوِيَّةِ والهاويةِ
في وطنٍ لا يعترفُ بالأسماءِ، ولا الأحلام!
علّمني كيف تكون -للأصواتِ أجنحةٌ- تتطيرُ في الهواءِ، فيعجبُها الصدى!
في مستنقعِ العالمِ، بينما نجولُ
في التقاطعاتِ ما بين الحُلمِ والواقع!
تُعاودُنا آلامُ ولادتنا!
تُوخزنا كلما تطلَّب الأمرُ لنُغيّر اتجاهاتنا من الحلمِ إلى الواقع!
نلعبُ هذه اللعبةَ مراراً!
كلما خانتْنا أرجلُ أحلامِنا!!
كلما دَهَسْنا الانتظارَ، جلسْنا على كراسينا المتحركة!
وعُدنا إلى الواقعِ بيدين فارغتين،
من -الأغنيات-!

عند السيجارةِ الحادية عشرة
فكرتُ فيك،
لو أنك معي الآن لَثبَّتْنا قلبينا -بدبوسٍ- واحد لأستطيعَ أن أحكَّ جلدي في ظهرك،
ولبَلَّلْتُكَ بكلامٍ أغرفُه من البحر،
لالتهمْنا غزلَ البنات ونحن نسبحُ في صوتِ أم كلثوم،
ونضحك!
"ده أكتر من اللي بتمناه، وم الفرحة وأنا جنبك"
الأغنيات، الأغنياتُ التي تُعيدُنا إلى
نقطة البداية!
الأغنياتُ، التي تُشبه الأمهاتِ
تُوجّه قلوبَنا نحو أول نبضة، أول كلمة، أول ضحكة، أول جرحٍ، أول قبضة قلبٍ وأول موتة!
الأغنياتُ التي نُعيدُ تدويرها في عقولِنا لِنُجدّد الحدثَ والشعور!
فنستعيدُ الضحكةَ ونستحضرُ العناقَ
عندما -تَعِزُّ- علينا الضمة!
الأغنياتُ التي نكتبُها على جدران غرفِنا وعلى الحصى وفوق الأسوار!
نكتبُها في الدفاتر وبطون الكتب!
لنستعيدَ رائحةَ الأمنياتِ والفرحَ الأول ورَجْفةَ الصوت وارتعاشَ الكلام
لِنحظى بفرصةٍ، تلك الفرصُ التي دائماً ما تكونُ مستحيلة.

لَوْحَةٌ لِأُنثى عَارِية

مَنِ الّذي أَجْبَرَ لَوْحَةً تَنَامُ بداخلها أُنثى عَارِية، على الصُّمودِ فَوْقَ مِسْمَارٍ صَدِئٍ؟

الخَيْطُ مُسْتَهْلَكٌ للغَايةِ، يُحَاوِلُ حَمْلَ ثِقْلِها دونَ أنْ يَنْبَرِي، يَحُطُّ عليهِ هَوَاءٌ رَطِبٌ خَفِي يَأْكُلُهُ على مَهْلٍ!

يَسْتَسْلِمُ الخَيْطُ لِلُعَابِ الهَوَاءِ الرَّطِبِ!

تُسْلِيهِ شَذَرَاتُهُ الخَفِيَّةُ وكأنّها تُدَاعِبُ رَغْبَتَهُ فَيَنْتَشِي! يَشُدُّ نَفْسَهُ أَكْثَرَ -رغمَ بَلَلِهِ- يُحَاوِلُ التَّصَدِّي لرَغْبَتِهِ في الاستِسْلَامِ!

تَمُرُّ الدَّقِيقَةُ وكأنّها سَاعَةٌ، والسَّاعَةُ كأنّها عَامٌ، يَزْدَادُ ثِقْلُ اللَّوْحَةِ، فيَحْتَكُّ الخَيْطُ بالمِسْمَارِ، ويُغَيِّرُ وَضْعِيَّتَهُ، يَزْحَزِحُ نَفْسَهُ إلى ما قَبْلَ المُنْتَصَفِ بقَلِيلٍ!

يُثِيرُهُ الاحْتِكَاكُ، يَوَدُّ لَوْ أَنَّ لهُ صَوْتًا لِيَتَأَوَّه!

يُحَاوِلُ أنْ يَسْتَلْهِمَ الصَّوْتَ من الصَّمْتِ، يَجْمَعُهُ كَظَمْآنٍ يَلِمُّ النَّدَى في قَمِيصِهِ لِيَكُونَ نَهْرًا، يَشْتَدُّ ويَرْتَخِي، يَتَوَتَّرُ!

تُدَاعِبُهُ شَذَرَاتُ الغُبَارِ، يَوَدُّ لَوْ يَتَأَوَّه!

تَرْكُضُ قِطَّةٌ إلى الغُرْفَةِ..يُثِيرُها ثِقْلُ رَغَبَاتِ شُبَاطِ!

تَتَلَوَّى أَرْضًا وكأنَّها تَغْتَسِلُ بِظِلِّهَا!

يَمْتَصُّ الخَيْطُ صَوْتَهَا من الهَوَاءِ، يَقْتَبِسُ مُوَاءَهَا، فَيَتَأَوَّهَانِ مَعًا، آهٍ وآهٍ!

يَمْتَزِجُ الصَّدَى بِظُلْمَةِ الغُرْفَةِ، تُثَارُ اللَّوْحَةُ وتَرْتَجِفُ، فتَسْقُطُ أَرْضًا، وكأنَّ الخَيْطَ قدْ بَلَغَ الذُّرْوَةَ!

يَرْتَخِي الخَيْطُ فيَنْزَلِقُ، يُحَاوِلُ أنْ يَصْنَعَ يَدًا لِيَتَشَبَّثَ بالمِسْمَارِ، يَنْزَلِقُ ويَنْزَلِقُ، حتّى يَحْتَكَّ آخِرُهُ برَأْسِ المِسْمَارِ، فيُوَدِّعُهُ ويَهْوِي!
يَسِيلُ اللَّوْنُ الأزْرَقُ من اللَّوْحَةِ، فيَصْنَعُ نَهْرًا من شَبَقٍ!
يَرْتَمِي الخَيْطُ على شَبَقِهِ، يَخْتَلِطُ باللَّوْنِ فيَصِيرُ أَزْرَقَ، يَقْتَبِسُ من اللَّوْحَةِ عَيْنًا، فيَنَامُ!
تَنْهَضُ القِطَّةُ من غَفْلَةِ رَغْبَتِهَا! تَقْتَرِبُ من الخَيْطِ بِحَذَرٍ، تُحَاوِلُ أنْ تَمْشِي على أَظَافِرِهَا كَي لا تَغُوصَ في الأزْرَقِ اللَّزِجِ، تَشُمُّ الخَيْطَ، تَلْعَقُهُ، تَتَنَفَّسُ رَغْبَتَهُ بِتَوَجُّسٍ، فَتَطْمَئِنُّ!
تُغْمِضُ عَيْنَيْهَا، فَتَتَنَشِي!
تَسْحَبُ الخَيْطَ بِحَذَرٍ، تَحْمِلُ طَرَفَهُ بفَمِهَا مُحَاوِلَةً إنْقَاذَهُ من فَوْضَى شَبَقِهِ، فَيَتَدَلَّى طَرَفُهُ على الأَرْضِ،
وكُلَّمَا تَحَرَّكَتْ صَنَعَ خَطًّا مَلُونًا من شَبَقٍ، فامْتَلَأَ المَكَانُ!
أَنْقَذَتْهُ القِطَّةُ من سَيْلِ رَغْبَتِهِ، ونَسِيَتْ أنْ تُنْقِذَ نَفْسَهَا!
تَسْتَيْقِظُ أُنثى اللَّوْحَةِ من سُبَاتِهَا،
تَسْحَبُ جَسَدَهَا من اللَّوْنِ!
تَتَفَاجَأُ بِعُرْيِهَا! فَتَغْرِفُ بِكَفَّيْهَا من الأخْضَرِ، وتَصْنَعُ وَرَقَةَ تُوتٍ وتَضَعُهَا فَوْقَ فَرْجِهَا، فَيَسِيلُ لُعَابُ شَعْرِهَا،
فَيَتَلَوَّنُ المَكَانُ بالأصْفَرِ!
يَسِيلُ الأبْيَضُ من جَسَدِهَا وهي تَمْشِي مُتَمَهِّلَةً بقدمين ناعمتين!
تَهْتَزُّ الأَرْضُ الخَشَبِيَّةُ، يَئِنُّ الخَشَبُ،
يَدُقُّ قَلْبُهُ، فيَذْرِفُ لَوْنَهُ البُنِّيَّ ويَعْوِي!

تذكّرت يوسف

سمعت طفلاً يبكي، تذكّرت يوسف.. تحسّست بطني، غرست أصابعي، وخنقت رحمي!

عادةً ما تصيبني آلامي الشهرية بمشاعر متناقضة، تثور أفكاري ومشاعري..

أتألّم، اعتدت الألم، فصار جزءًا من جسدي..

جسدي الذي ما زال يحملني ويتحمّلني لا أعلم كيف؟!

يحاول امتصاص مشاعر روحي المتخبطة وتذويبها، وبعثرتها في دمي، ونقلها من قلبي إلى معدتي، إلى كبدي، حتى تبلغ عظامي وتترسب في النخاع..

فأكون جسدًا يطفو ثم يغرق في قاع الكون..

كل جزءٍ بي يحمل قصة، وما أكثر القصص الذائبة في جسدي!

وكم يكون رحمي ممتنًا لله أنه استطاع أن يذرف بعض قصصه الحمراء!

في كل مرة على مدار سنوات، نبهتني دمائي بأني ما زلت أرضًا غضةً لم يجفّ طينها بعد!

في كل مرة أتذكّر "يوسف" تهرب دمائي من رحمي إلى قلبي..

فتحنّ إليه نبضة بين كل ثلاث نبضات، وبعد أن أغفو، تذكره روحي كل ليلة في الملأ الأعلى تحت عرش الرب!

تسجد لله وتذرف الدمع.. أتذكّر لحظتها أن برغم كل هذا الشوق لحمله بين ذراعي، لا بد وأن لا تنجب المرأة إن لم تحب!

وأنا قد اهتزّ قلبي بحبٍ جعلني أودّ لو أني أغامر، وأهب جسدي لتلك التجربة.. لكنها اختيارات القدر!

لا بد أن نشاهد مصائرنا وهي تهوي من ارتفاع عالٍ، ونحن في قمة الرضا!

تعكسنا مرآة مشاعرنا الغاضبة، وغالبًا تعود إلينا ونصطدم بها من جديد!

"لا بد أن نغفر للماضي لنرزق ذرية وحبًا وأمانًا."

تذكرت يوسف..

ففاض قلبي حنانًا..أغلقت عيني، لمست جلده، تنسّمت رائحة الجنة فيه!

لم أره أبدًا في وجه طفلٍ آخر!

كأن الله اصطفاه لأرى ملامحه بقلبي..

أعلمها جيدًا، وأوقن أنه لا شبيه له على الأرض، فأبناء السماء تحتفظ بهم السماء حتى إن أنجبتهم أرحام نساء الأرض يعودون إلى السماء صغارًا.

"إني لأجد ريح يوسف لولا أن تُفنّدون!"

مَشَيْتَ على الغَيمِ

لا تَجْذَعْ، سأُطعِمُكَ!
هذِه مشاعِري تقطُرُ حليبَ رُوحي، اعْبُرْها وأمسِكْ بقلبي!
اقضِمْهُ قَضْمَةً قَضْمَةً، حتى لا يَعودَ فيهِ موضِعُ نَبْضٍ، ولا تَجْذَعْ!
تَسَلَّ على نَظَرَاتي، بينما نَسِيرُ في طريقٍ بلا عودةٍ!
لسنواتٍ.. أحتَفِظُ بكلِّ المطرِ تحت جِلدي، لأسقِيكَ!
خَشِيتُ أن أعرقَ قَبلك، فتنهَمِرَ رُوحي في العدم فأصيرَهُ!
ضُمَّ صوتَك إلى صَمتي، واملأْ بكَ هذا العدمَ!
أفرِغني فيك، كالمطر!
فأخصُّك وحدَك! أبكِي على جَسدِك كما تمطرُ السماء، لتَسْقِي عُشبًا نائِمًا نَسِيَ أن يَشرَب! نَسِيَ أن يَحيَا فأغاثَهُ الغَيم!
وعانَقَته الأرضُ بطمي ليِّنٍ، كجَسدي
حينَ يلتوي عليك، حينَ تَلِجُ بداخِلِه كخُيوطِ شمسٍ تخترِقُ عَتَمةَ بَيتٍ لم يَطالْهُ ضوءٌ مُنذُ أن بَنَتهُ امرأةٌ لا تَعلَمُ كيف تكونُ للبيوتِ نوافِذ!
فَصنَعَتْ في جَسدِها كُوَّةً تَشْبِهُ النَّافِذة وصنَعَتْ منهُ حريقًا، لتُدفِّئ بَردَكَ! وتُضيءُ عَتْمَتَكَ، فَتفحَّمَتْ وصارَتْ غُبارًا، يَتَطايَرُ نحو السماءِ!

مَشَيْتَ على الغَيمِ، حتى تقطَّعَ قلبي من وهمِ الحياةِ إلى العزلة..
من وهمِ الأرضِ هربتُ!
ارتفعتُ ألفَ شِبرٍ، لأغسِلَ عيني وصَدرِي، عنقِي وحَنجرتِي! لأُطلِقَ صوتِي كالرعد -وأمطُرَ- !
أردتُ أن أكونَ ماءً، لأخترعَ الحياة لأكونَ أنا، فأعيشَ الحياةَ التي كنتُ أشتَهِيها مَعَك!
أخذتني فكرةُ التلاشي، صرتُ وَهمًا أغرانِي العدم! العدمُ فَسِيحٌ، يَليقُ بكلِّ الضَّحكاتِ التي نَسِيتُ أن أضحَكها!
هناكَ مكانٌ للفَرَحِ في اتِّساعِه أستطيعُ أن أكونَ أنا الآن. بَيضاءَ كَشساعَته، شفَّافَةً.. وغيرَ مَرئِيَّةٍ!
أحومُ حولَ الكونِ، أحرُسكَ وأحنو عليك..
أعيرُكَ نساءً أُخرياتٍ، أرسلُهنَّ لكَ على صورةِ الحورِ يبدونَ أجملَ! جَمالٌ زائِفٌ يُنقذُ شَغَفَك ووحدَتَكَ لِلَحظاتٍ!
شفاهٌ قِرمِزيَّةٌ ودامِيةٌ وملتهِبَةٌ بأكاذيب، آهاتٌ كالأمطارِ!
شبقٌ يموتُ، ويُعِيدُ نفسَهُ من جديدٍ تُغريكَ رُطوبَتُهنَّ، أصواتُهنَّ عُيونُهُنَّ!
تُلقِي ذاتَك في بَغائِهنَّ، فتفورُ الحياةُ فيكَ للحظةٍ!
تَشتعلُ، وتَعودُ لتنطفِئَ!
يَنسَينكَ وجودِي!
يَذبنَ في بُخارِ شَهوَتِكَ، كشموعٍ تسيلُ بياضًا، وشهوةٌ بلا حُبٍ..

شهقةٌ بَيضاءُ وزفرةٌ، كدُخانٍ قاتِمٍ! وتنقضي الدقائقُ، فيَبْزغُ وجهي واضحًا كالشمسِ، حقيقيًّا كالواقع، حزينًا كالفَقد!

تَرْمُقُهُ بحَسْرَةٍ، لأنكَ لم تَمَسَّهُ!

لم تَشبَعْ من أنوثةِ الكونِ فيه مسكينٌ قلبُكَ!

ووَحشِيَّةُ غريزةِ التهامِكَ للوحدةِ تَرتكبُها بطُرُقٍ تجعلكَ مُجرمًا تموتُ كلَّ يومٍ، وتَعودُ للحياةِ من جديدٍ بعدَ كلِّ عثراتِكَ!

أحببتُكَ، حُبًّا غاضبًا في أصلِه حَنونًا في ظاهِرِه مجنونًا في قوتِه، فأَهلَكني، وأهلَكتَني!

صَلد قلبُكَ، لم يُحِبَّني كما يليقُ بي، لم يَثقْ في كوني لم أخُنْكَ يومًا!

أنا حرائقُ الآن، ألتهمُ نفسي ألتهمُ ذكراكَ، وأتفحَّمُ حتى أصيرَ زُغبَرَةَ دُخانٍ!

جُزيئاتٌ منِّي تتطايرُ، تَلتهمُها رطوبةُ الهواءِ، فأصبحُ غير موجودةٍ غير مَرئِيَّةٍ!

ذِكرى، ونَواقيس!

رأيتُك،

تبدو وسيماً، وتُغني..
إنه لمن الغريب أن أراك!
تبدو تماماً كما أحب، تفاصيلك قاتلة، تستنزفني!
تمتصني عن آخرِي، أعيشكَ بجميعها، ولا أستطيع عيشي!
أنساني، ولا أستطيع نسيانك! لا أستطيع محوك من ذاكرتي،
صرتَ كل ماضِي، وحاضرِي،
مستقبلِي المبهم!
ظننتُ أني أستطيع نسيانك!
ولكن لأيامٍ، وفي كل ليلة..أفكر فيك، أتخيلك!
أدفن فيك نفسي، أتكوم بداخلك!
لأنك منطقتي الآمنة!
حلمتُ بك، لذلك أنا هنا الآن!
أحلامي أرسلتني.
"لابد أن تتواصل بشكلٍ ما مع من يظهر في أحلامك!"
ستكون الحياة أكثر بساطةً وقتها.
تقول له: مرحباً، لقد رأيتك في الحلم وأيقظني الحب!

أنتَ.. كل ما لدي. أحبك، كما لم تُدرك من قبل كم يستطيع قلبٌ أن يُحبك، ولا يستطيع تركك مهما كلفه الأمر! رأيتُني فيك، شبيهي في كل شيء!

الوجع، والحزن..

شبيهي في الفرح القليل!

في الاغتراب، وحين يلوكنا اليأس، شبيهان في كل شيء! شريكان في الحلم.

نتعلق بغيمات الأمل، تحاول العواصف أن تقصينا.

يصيبك يأس، فتفلتني!

تتركني وحدي..في منتصف العاصفة!

لكني لا أفلتك، أرخي لك الحبل، دائماً!

لتعود إلى حضني، تتدثر بي.

أعانقك كرحم، فتُخلق من جديد،

وأُخلق معك.

أمضغُ مشاعري

لستُ من النوع الذي يستطيعُ أن يبوحَ بسهولةٍ تنتفخُ بداخلي المفردات، تغلي، تنفجر، وتتشظى
تسدُّ حلقي، يثقلُ لساني، ولا أستطيعُ التعبير!
لا يبدو على ملامحي ما أُخفي!
لا شيء!
فقط شعورٌ يغلي بداخلي ويتبخّر عبر عينيّ، عينيّ تصرخ، وملامحي باردة!
قلبي يبكي، بينما أُطلق الضحكات كغانيةٍ في أوجِ شهوتها!
يحرقُ أعصابي الغضب، يفتكُ بآدميتي!
أصرخُ في داخلي، ولا شيء خارجي!
صامتة، هادئة، جميلة، أُحدّق!
لا أسمعهم، هناك ضجيجٌ في الداخل، فوضى!
لا أستطيعُ التحكم بها!
أغلقُ صمامَ جلدي عليها جيداً!
أنا أبتسم، أَلْفِظُ عكسَ ما أشعر!
حين أُسأل عن حالي أجيب: بخير!
أنا بخير، أقولها بصوتٍ عالٍ لأسمعها جيداً!
أنا بخير، أنا كالحرباء، لطالما قالتها أمي عني!
هي تعرفني جيداً! الآن فهمتُ لماذا؟ أنا حرباء.
حين كنا معاً كنتُ أبوح، أشكو، أنتحب، أصرخ، أبكي
تتدفقُ مني المشاعر والكلمات كنهرٍ

تسترسل دون مجهود، أستطيع وصف شعوري بدقة
أقول: أنا حزينة، وأحبك، أنا منتكسة، وأريدك، أنا أبكي، ضُمّني!
كان لساني خفيفاً كحضوره
كنتُ أربطُ كل الكلمات ببعضها رغم أنها لا تتشابه
أقول: أنا عارية، وجارتُنا تدقُّ الباب!
أقول: الكعكة في الفرن، وجلدي محمراً من لدغات النمل!
كنتُ أقول كل الجمل دفعةً واحدة
كل ما يُقال ولا يُقال كثَرثارةٍ تخشى أن تتوقف، ربما لشعورها أنها ستصمت لوقتٍ طويل!
أقول: لن تتخيل كم أنا جائعة، وأن ذاك الصحن الفارغ كفيل بأن يُشبعني حد ألا أجوع بعده الليلة..
الحياة صاخبة لو تعلم، حتى وإن سادها الهدوء، يكون على الأرجح هدوء حذر.
فيرد: منذ عرفتكِ صرتُ أكيداً أنكِ مولعة بقتل نفسكِ!
أنا الآن ممثلةٌ حقيقية، أستطيع لفت انتباهِ أكبر قدر من البشر، حين أحملُ عدمَ إيماني وألوّحُ به عالياً كرمزٍ للامبالاة
منذ وقتٍ ليس بقليلٍ لم أكن أعلمُ ماذا أفعلُ بيدي لكني علمتُ مؤخراً!
باختصار، لم يعد يثيرُ شغفي شيءٌ مثلما تثيرني أكوابي الخزفية!
ولعقُ بقايا القهوة بفنجاني بعد آخر رشفة!
أنا بخير، هادئة، جميلة، ألهو بداخل عقلي، أمضغ مشاعري، أبتلعها..
وأبتسم!

حِينَ أَقُولُ لا

أقْتلُ أَلْفَ مَرَّةٍ حِينَ أَقُولُ "لا"
صَوْتِي خِنْجَرُ، أَصْرُخُ. أُعانِدُ، فَيَذْبَحُنِي جَبَرُوتُهُمْ!
يُراقِبُونَنِي بِاسْتِماتَةٍ، أُقاوِمُ، أَتَمادَى فِي العِنادِ، أُفَرْفِرُ...
كَغَزالَةٍ... يَسِيلُ دَمُها!
يَخْتَبِرُونَ مُقاوَمَتِي، يَنْتَظِرُونَ عَلَى المَذْبَحِ، لِيَتَعَمَّدُوا بِدَمِي!
وَيَتَعاطَوْنَهُ كَإِكْسِيرٍ
أُقاوِمُ، أَصْرُخُ
أَسْحَبُ جَسَدِي كَمُحاوَلَةٍ لِإِنْقاذِ جُثَّتِي مِنْ الغَرَقِ فِي دَماها !
تَبْحَثُ يَدِي عَنْ مُتَّكَإٍ، أَقِفُ بِساقَيْنِ مُرْتَعِشَتَيْنِ، أَقُولُ "لا"
أُعانِدُ.. "أُرِيدُ أَنْ أَحْيا"
فَيَتَكاثفُونَ حَوْلِي، يَتَكاتَفُونَ لِإِسْقاطِي، فَأَهْوِي!
أَتَنَفَّسُ "كوحْش" مَذْعُورٌ، أُراقِبُهُمْ بِعَيْنِ المُنْتَقَمِ، أُراوِغُ، لا أَيْأَسُ.
أَتَمادَى فِي التَظاهُرِ أَنِّي اِنْتَهَيْتُ، وَأَتَّكِئُ عَلَى "نَفْسِي"، أَنْتَشَلَنِي!
وَأَقِفُ عَلَى ساقَيْنِ تَتَداعَيانِ، أُعانِدُ التَداعِيَ، أُعانِدُهُمْ، وَأَصْمُدُ
فَيَقْتُلُهُمْ صُمُودِي
أُرِيدُ أَنْ أَحْيا -رَغْمَ أُنُوفِكُم- رَغْمَ اِرْتِعاشِي، وَرَغْمَ نَزَفِي!

الأفكار تأكلني

الأفكار تأكلني، كيف تصنع الواحدةُ منا حبيبَها لتلتهمه في سجنها كل يوم، أو تفركه لتدخنه مع الماريجوانا، بعد أن تمارس كل الرذائل مع الخيال، ليبقى جلدها يقظًا ومثارًا طوال الوقت، دون أن توصد أبواب الشياطين التي تبقى مفتوحةً في عقلها على مصراعيها، فتستغلها أسوأ أو أفضل استغلالٍ، لا فرق!

اخرجي مني أيتها الأفكار، وخذي الباب في يدك، وبقبضةٍ مرتعشةٍ اكتبي على جسدي أنني أبقي نهريَّ مفتوحين لأتنفس، لأن رئتيَّ لا تعملان بشكلٍ جيد!

أنتِ تهذين لأن القمر كاملٌ بالخارج، تحولاتكِ الذئبية تمكنكِ من سماع خشب العود وهو يتشقق كفخذيكِ عندما ينشقان كبحر موسى، ويظهر ما يخفيه شهيق البياض تحت تنورة بلون الليل!

القمر مكتمل، لكنك وحيدٌ مثلي، وتشعر بالنقص والخذلان، وصوتي لا يستطيع الوصول إليك. أنت تحتاج لحبيبةٍ تطير "كيمامةٍ بيضاء" لتستطيع الوصول إليك، وقد خلق الله عقلي بجناحين!

محمولة على غيمة، تحملني الرياح إلى حيث لا أعلم أين ستلقي بي!

لم يكن بوسع السماء أن تسحبني من فوق الأرض لتلقي بي في غيمتها السابعة، وتأتي بكَ أيضًا لتثبت لي أنها تراني وتسمعني وتنظر لي، وأنها تأثرت بكلماتي على مدار السنوات الماضية!

الفم الذي قبلني حين ولدت لم يكن لأمي!
كان قبلةَ ملاكٍ علم مصيري حين دفعتني أمي في هذا المكان الذي يسمونه حياة!
أيها اليائس، حدِّثني عن صراخك الأول، عن بكائك الأول، عن معاناتك الأولى مع الحياة! وعن ثمار أحلامك حينما أينعت في صباحٍ لم تتوقعه!
أنا أحدث نفسي فيك، وأحدثك عبر عدمي، وأصنع صوتك وأعيشه مثل لسعة بردٍ تجلدني، حينما نكون جزيرتين متباعدتين، نحاول وصل نفسينا بجسرٍ من كلمات تتنفس ولها صوت ورئة. فلم يكن كلامي سوى عزلةٍ ممزوجة بصمت وزفراتٍ كثيرة!
أنا أحدثك لأتذكر أن لي حلمًا ضائعًا لا أجده إلا عندما يشربك قلبي، فتتورد روحي، ومهدي، وكرم العنب الذي أخبئه تحت مكابرتي!
علينا أن نصل إلينا بسلام، بعد الانتهاء من كل هذه الحروب التي تبقينا في ظلمتنا، وتخلق لنا سكينًا لنفتح في جلودنا فوهةً تمكننا من الهرب من ظلمتنا الداخلية!
كيف أبصر دمي الأعمى طريقه بداخلي مع كل هذه الظلمة!
حيث لا ضوء ولا حياة ولا شيء يهتدي به سوى رائحتك بداخلي كلما تعثر بك دمي!
صار الوهم أنت، جاهدتُ لأرتفع شبرًا لأستطيع الوصول إليك، قل لله أني أحتاج كتفك لأنام، إنني مقتولة كفايةً لأخترع وجهك، فيكون المدى فسيحًا!
تستطيع أن تمد إليّ ابتسامتك لأتعلق بها، وأنقذ نفسي وأنقذك.

من سيربح؟

لقد ربحتَ أنت من المرة الأولى في بداية حربنا معًا!

عندما اعتصرتَ قلبي من منتصف وريده، حتى تسرّبت روحي من خلايا دمه، وملأت يدك، لكنك أفلته في الدقيقة الأخيرة، ما قبل اندفاع الروح ، إلى أعالي عليين! من الرابح؟

عندما تناولت يدي ووضعتها في موضعها الصحيح على قلبك!

فامتص جلدي نبضه المتوتر وذاب قلقك في تنهيدة "آه" طويلة وكأنها صرخة جبل، لم تصمد كثيرًا، والوجع يتسرّب من قلبك إلى يدي! لم تصمد..

اهتزت شراييني لتحمل عذابك عنك، أوصلتك إلى الناحية البيضاء الخالية من التعب، الممتلئة بزقزقة العصافير على ضفاف الجنة التي تخيلناها معًا!

كنا في الحكاية ضدّين، يتنافر الكلام بين شفاهنا، تثور فورة الغضب ويشعلنا السخط

لم يصالحنا الحب، ولم نلتقِ في أرضٍ محايدة، وبكى الشوق كطفل بيننا، أغرقنا الملام!

كنا في الحكاية متطابقَين في التوهة، في الجرح، في الوجع، فتنافرنا لأننا متشابهان

ليت الذي خلقنا وجمعنا في هذا البركان، ليت الذي خلقنا وجعلنا قلبًا واحدًا، ليته جعلنا نعي جيدًا أننا جسد واحد سيأكل نفسه إذا الروح فيه اغتربت

ليتنا لم نكن متشابهان إلى هذا الحد، ليتنا لم نولِ الغضب اهتمامًا

ليتنا لم نقترف إثم العناد، فالوجع في قربك كان أهون من وجعنا في الفراق

ليتنا ما خُلقنا ولا التقينا، ما كنا ظلمنا بأيادينا، ليتنا...!

ليتني متُّ قبل هذا وكنتُ نسيًا منسيًا!

أحببتُ الرحيلَ لأولِ مرةٍ

"يا حلوةُ مدِّي توبك عليّا وغطّيني، وزيدي النسيمَ من عطرك وزيدي حنيني"

لستُ مُدركاً ما يحدثُ لي، ولستِ مُدركةً أنَّ انشطارَكِ يقتلني ويجعلني في مواجهةٍ مع مخاوفِكِ التي دائمًا ما تكونُ صغيرة، ولكنكِ تُعظّمينها وتُكبرينها وكأنكِ تُراقبين كلَّ نجومِ السماءِ بدقةٍ لا متناهية، ومتعةٍ بالغةٍ تجعلكِ تستمتعينَ بأدقِّ التفاصيلِ رغمَ أنها تُتعبكِ وتبكيكِ!

وإني لا أزهدُ عيناكِ الباكيتينِ حينما ينهمرُ الدمعُ منهما وكأنه خيوطٌ من حريرٍ تتدفقُ ولا تتوقف!

أحبُّ عينيكِ حينما تبلغانِ سرَّهُما في التأويلِ رغمَ صمتِكِ الكافرِ! وصبرِكِ الفاجرِ، ورغمَ أن لا يدَ لي في جعلكِ تفكّينَ عُقدَ الصمتِ وتُفلتينَ لي حبلَ الكلامِ ليَمتدَّ إلى ما بعدَ النومِ، وحتى في الأحلام!

"يا حلو يلي ما بتعرف غلاك، صُبَّ صوتَك في الهوا خلّي صداه يونس أيّامي بلاك"

في الماضي كانت لي يدٌ تدري جيداً كيف تُدبر أمري، كنتُ أقاتلُ بها مللَ الأيامِ فأكتُبك دونَ علمي بوجودك! أحببتُك كجنينٍ ينمو في عمقِ أحشائي، وتنفستُ ريحَك في دمي دونَ أن أرسمَ لك ملامحاً تسدُّ جوعي إليك! رأيتك في وجهي ورأيتني في روحك حينما كنت

تتجول بينَ رأسي ونفسي وكياني! لقائي بك لم يكن صدفةً كما تعتقد، لقد خلقتك بداخلي قبلَ أن أعلمَ أنك في الكونِ، وقبلَ أن تعلم أني أنتظرك!

"جاي ع بالي بهالبرد ضمة"

قبِّليني كي أنامَ، وغطِّيني فالبردُ يأكلني!

طوِّقي جسدي النحيلَ، وامزجي بكِ شهيقي، لن أزفُرَكِ، سأحبِسُكِ في صدري، في عقلي، في عمري، لتكوني الفُسحةَ حينَ تغيبينَ والجنةَ حينَ تحضرينَ والوقتَ حينَ يسقطني الزمنُ من حساباتهِ.

"وشربت مسكرتش وعطشت من تاني، لفيت ومتهتش ورجعت لمكاني" كنتُ فيما مضى أهاجرُ من جسدي، أطيرُ بحواسي، وأقطعُ كلَّ تداعياتِ التعب، وأفارقُ ظلي، لأبحثَ عنك في بيادرِ الخيال، أتخيلك كملاكٍ مهاجرٍ أقتفي أثرك في الترابِ وفي رائحةِ المطرِ وفي الغروبِ الغارقِ في دمِ المراكبِ، كنتُ أبحثُ عنك في الرغبة، وفي ارتعاشاتِ الألمِ التي كنتُ أظنها نشوةً، كنتُ أبحثُ عنك في انسحاقي وضعفي، فسمعتُك تُناغي طفلةَ روحي لتُخرجها من بئري، ألهيتها بغنائك لتسحبها إلى الضوء!

كان كافيًا جداً صوتك ليجعلني أتبعك!

حملتني في الريحِ فاختفينا معَ هبوبه. كان رحيلي معك جميلًا، ذقتُ جمالَهُ ونحنُ نرتجفُ من الفرحِ، صرتُ عصفورًا يختالُ في السماءِ فأحببتُ الرحيلَ لأولِ مرة!

جميعُهُنَّ يعتقدنَ

جميعُهُنَّ يعتقدنَ أنك تكتبُ لهنَّ، جميعُهُنَّ يُمَنّينَ أنفسهنَّ بوصالٍ منك، ويَسرَحنَ أصواتهنَّ ليغرِقنَ فيك قبل وُلوجِ الصبحِ على أعناقهنَّ، جميعُهُنَّ جميلاتٌ قبيحاتٌ مُصاباتٌ بفضولٍ مجنونٍ، يخبِزنَ رغباتهنَّ على مهلٍ، ليقدمنها لك، ليكنَّ فرائسكَ المستسلماتِ في الليالي المُقمِرة، لا يعلمْنَ أنك تهربُ إليَّ حافيًا، وضالًا لأعلمَكَ تراتيلَ السنونو من أول الليل إلى آخرِه.

أُقدسُك بغيمي وما تقطرُهُ سمائي على كل بقاعِ جسدك، وأهوى بكلامي عليك كما يهوى الوردُ على الشوك! لا يعلمْنَ أنك تنجرفُ في تياري دون مقاومة، ويتهيأُ لك جسدي كالتفاحة التي تهيأت لتلتهمَ لحمها، وألمعُ لأغويَك، أسقطُ بين يديك كنايٍ خجِلٍ يسيلُ صوته وكأنك تعتصر أسرارَه فينوحُ شجنًا ليُشجيَك!

لا يعلمْنَ أني أتقمصُ كل أدوارِ الإناث جميعًا ليجذبك تعددي،

وتقول لك الجنية الساكنة خلف وجوههنَّ: تعال لي، واطلق صراخَك بين شفتي لأكون وطنًا ينشقُّ لك لتسكن بكلك فيه!

أعطيك فتقول: هل من مزيد؟!

وأهبك حظَّ المسافرِ بي، فتحلّق فوق بحيراتي، وتودّع كلَّ ما كان قبلِي، فتتأهبُ قصائدك لي، لي وحدي! لا دورَ لهُنَّ في قصائدك، فأنا خاطرك وحروفُك، وذوباني في المعنى يجعلُ سركَ أنا، وبرقُك أنا، ولي كلُّ العنادل الراكضة في دمك، وغزلانُ صمتِك، وخرافُ

نومك، واسترسالك في الكلام، ووحيك، وهاويتُك، وحظُّك، مملكةُ رغباتك، والدورُ الأوحدُ الذي تلعبه في قدرك، ونعشك، وموتك، والمجاز الذي يختبئ خلف المعنى، وكلُّ بوحك، وما يعصره الجنونُ من شغفٍ، فيتقطر كلُّ ليلك بي!

لا يعلمْنَ أنهنَّ سرابٌ، لا شيء، لا يُولدْنَ أملًا ولا يُغرِينَ الوردَ ليتشققَ من جسدك ويَزهُر، لا يعلمْنَ أني أحمّمُك كلَّ ليلة بشبقي، أُعَمّدك به، أسقيك من نبعي، وأنصبُك نبيًا برسائلي، يخفيك عني حوارُك مع الصمت، فأتقمص ذاتَك، أخلقُك، فأكون هويَّة اكتسبتُها منذ ولادتك، أكون أناكَ ومنفاك، وتعريفَك لنفسك، وتناغُمَك مع الكلام والإشارة، أكون جوهرَك وهامشًا تختبئ فيه روحك، أتقمص دورَ الفراش فأجعلك تنام لتستريح مني ولي، وأنتظر..

أنتظرُك مُحمّلًا بهداياك، بلهفة طفلةٍ بعينين فضوليتين، أنتظر بعد أن أُدرّب طراوةَ جسدي لتكون موجًا يُراقصك، ويرفعك، ويُغرقك، ويُنجّيك

أنتظر عينيك، وتوتَ شفتيك، وشساعة صدرك، لأنسى عزلتي ولومَ الصدى، وأنام كفرسٍ هَدَأَ دمه بعد أن لمستَ أصابعك عنقي.

كلمات غير منطقية

الكلمات تتراصُّ بداخلي كرموزٍ بلا أيّ توابع، دون تفسير!

الكلماتُ الغير منطقية، الكلماتُ الوحيدة المعزولة تحت جلدة رأسي، في الجزء المعتم من عقلي، الكلمات المتوارية المبتورة التي قد تصنع جملاً، لكن لا يتبعها سردٌ ولا حكاية! نفوقُ المعنى أو المعنى في اللامعنى، أو سردٌ طائشٌ بلا هوية. هو شيء يشبه الرقص على السلم، أو سُلّم يشبه زحلوقة، فكلما صعدتَ خانتك قدمك، فهويت إلى أسفل وانزلقت لنقطة البداية!

البداية الشبيهة بالنهاية، أو أنك أصلاً انتهيت قبل أن تبدأ، أو بدأت في وقتٍ لم يكن وقتك، أو أن وقتك أتى باكراً فعشته بعشوائية جعلته يمضي دون أن تشعر، أو أنك كنت تشعر بأنك تتسرب معه، لكنك كنت المختار لتعيشه، فلم يكن هناك سواك، وكان ولابد أن تمتزج بتفاصيله فتكونها وتكونك!

بين أشجار الليمون

كلَّ صباحٍ أكونُ بينَ معضلتين، أَتركُ وأمضي، أم أبقى وأستسلم!
الحياةُ التي تختلطُ بكَ تستفزُّ شهيتي، أشتهي فيكَ كلَّ شيءٍ!
ألهو مع العربيدِ فيكَ، وأسرقُ المتعةَ كما أسرقُ الشهوةَ من النار
أفكرُ قليلاً، وأندفعُ كثيراً نحو احتياجي إليكَ، كما تندفعُ الريحُ لتثيرَ الطواحينَ.
أنا أحبُّ لعبةَ الأفعوانية، تذكرني بمعادلةِ الدورانِ حول نفسي، بسرعةِ امتطائي لظلكَ، تذكرني بالعواصفِ التي تجتاحني حينَ أودُّ أن أستسلمَ لرغبتي فيكَ، وحين أذبحُ الرغبةَ وأنثرُ دمها على بابكَ!
تذكرني باللهفةِ التي سارت بجسدي عندما شممتُ ثوبي الذي قبَّلتَ صدرهُ حين قبَّلتني وأنا أرتديه! أشمهُ وأعانقهُ، وآخذهُ معي إلى سريري الجافِّ، حافيةً بذاكرةٍ مفخخةٍ، أمدُّ ذراعي، وأفتحُ عيني بدهشةٍ لأعانقَ موتي المحتومَ، أطفئُ قلبي المشتعلَ بكَ، أطفئُ الأغاني، لأنتظرَ الغدَ بطريقةٍ كلاسيكيةٍ، فيتسربُ ضوءُ القمرِ مكسورًا من حزِّ نافذتي، وكأنَّهُ ينتحرُ على جسدي، وأنا مخدَّرةٌ بنظرةٍ غائمةٍ، أخطفُ من ذاكرتي ابتسامتكَ وأدسُّها في وعيي، لعلَّها تُنقذني من حيرتي حين أسمعُ شدوكَ وهو يهزُّ قدري، فيعيدني إليك بعد هروبي!

أنا أعرفُ عنقي جيدًا، حينَ يضيءُ عند الفجرِ، بعد أن تشتعلَ فوقهُ بقايا قبلتكَ، وحينَ يتدلى منه جسدي، وأنا عالقةٌ على جدارِ القدرِ، في غرفةٍ باتساعِ وحدتي الهائلةِ!

أعرف عنقي الرقيقَ حينَ ألهثُ خلفكَ، وأنا آخذ نزهةً حزينةً في جنانِ ذاكرتي معكَ!

في هذا الصباحِ سأطالبُ بحياةٍ جديدةٍ، يخلو منها اليأسُ حين أمدُّ قلبي وأنا أطالبُ بكَ، وحين تعلو بداخلي موسيقاكَ، سأطالبُ بالحريةِ وبالفرحِ!

الآن، في هذا الصباحِ، سيتحوَّلُ قلبي إلى اللونِ الأبيضِ، وأنا أرقدُ بجانبكَ بينَ أشجارِ الليمونِ، سأقبلكَ قبلةً ليومنا الأولِ، سأحدثكَ عند منعطفِ النهاياتِ، وسننسى أني من برجِ الحوتِ صاحبِ الحظِّ التعس، سأسكبُ قدركَ على قدري، وسأمزجكَ بالواين، لتكونَ شبيهًا بالسحرِ الذي لا يتوقفُ، وبالأغنيةِ التي تجعلني أنتبهُ إليها وأغرقُ فيها فأفقدُ وعيي بالواقع!

سأخلطكَ بي، سأفعل كلَّ ما في وسعي وأكثرَ من ذلك، لتكونَ أنا!

أنت الذي كنتَ أنت، سأجعلكَ أنا كي لا نفترق!

طيرك المُحلِّق المُشتهى

للبقاء أولوية الصمود حين تُباغتنا العواصف، وحين لا تهمنا عواقب الانجراف فيما لا نتوقع!

ولي رائحتك، وصوتك حين يغرق في مساماتي، وكعكة الفراولة الشهية، وشفتك الغارقة في الچيلِي، واهتزازات قلبي، وما سبقها من شغف يجعل الماضي يتصدع بداخلي، ويصبح آيلاً للسقوط دون رجعة، وبلا أمل في بنائه من جديد!

للأماكن التي جمعتنا دون سابق ترتيب، ولعينيك اللتين تشداني بخيط من حرير!

وللمستك الأولى التي أغفلت الجميع وذابت فوق ملابسي، لمست جلدي، مباغتة إياي بسكر وسحر لم يصيباني من قبل!

لخفوت الضوء وتمازج ألوانه، وسيلان الضي مع البريق في انعكاسات بياض عينك والبؤبؤ العسلي!

للاقتراب الأول الذي جعل المكان مقدسًا ومجيدًا على غير ماهيته!

للاقتران الأول الذي مهد قلبي وجعله وطنًا لا يطأه غيرك!

لوجهي الذي يتوهج بدمك فيصير دمي، ويسير بأوردتي فأكون منك!

للخمر المسكوب من يديك على يدي، الذي يجعل أصابعي ترسم خريطتها على جلدك وتعرف الطريق جيدًا من شريان معصمك إلى

الشريان المؤدي إلى الوتين، وللهفة التي تقطر عسلاً، وللرحيق الغارق في نعيم صدرك!

للوله الذي يشي بسر العنب، ولكتفك حين حمل رأسي وانتشى بأفكاري!

للجنة في رحابك، وللتكوين الأول لإعادة خلقي بعد خرابي السابق!

لك أنا، ولي وحدي مذاق ثمارك وطيرك المحلّق المشتهى، وأنهار الحليب والعسل المصفَّى، والخمر الذي لم ينتشِ به أحد قبلي!

لك أنا، ولي وحدي ما آتاك الله من نعيم خُضتُ من أجله الموت والحياة لأثاب به.

بَيْنَ سَبْعِ وَسائِدَ

حِينَ تَبْكِي اِمْرَأَة تَتَجمَّلُ جَيِّداً لِلَيْلِ، تَسْفِكُ دَم شَفَتَيْها بِمِزاج عاهِرَةٍ تَهْوَى أَنْ يَصْفَعَها الهُواةُ كُلَّ لَيْلَة.

وَتَنْسَى الأَلَمَ، بَيْنَما تُقْحِمُ وَجْهَها بَيْنَ سَبْعِ وَسائِدَ مَحْشُوَّةٍ، وَلا تَصْرُخُ إِلّا حِينَ تَتَخَيَّلُ وَجْهَهُ فِي ظُلْمَتِها!

حِينَ تَبْكِي اِمْرَأَةً تَرْفَعُ نَهْدَيْها كَما يَرْتَفِعُ جَبَلٌ لا يَأْبَهُ لِحَجَرٍ سَيَنْحَدِرُ فَوْقَهُ مُسَلِّماً راياتِهِ لِشُمُوخِهِ!

لَنْ يُغْرِيَها النَدَى حِينَ يَبْتَل بِهِ جِلْدُها، وَلَنْ تَقْشَعِر بَشَرَتُها بَعْدَ لَيْلَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْ المُتَعِ، لِأَنْ لا مُتْعَةَ سَتَجْعَلُها تَفِرُّ مِنْ وَجَعٍ يَحْتَلُّ المِفْصَلَ الَّذِي يُحَرِّكُ جَناحَيْها.

هُوَ القَدَرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ اِسْمٌ آخَرُ، وَلٰكِنِّي أَسْتَطِيعُ تَسْمِيَتَهُ فِي كَوالِيسِ الحَياةِ بِأَنَّهُ : "الحَظُّ المُؤَجَّلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ"

حِينَ تَبْكِي اِمْرَأَةٌ لا يَكُونُ بِوُسْعِ ذَكائِها أَنْ يُحَوِّلَها إِلَى سَراب لَوْلا خَدِيعَةُ الأَلَمِ ما اِسْتَطاعَتْ أَنْ تَعْلَمَ الفَرْقَ بَيْنَ أَنِينِ شَهْوَتِها، وَنَواحِ حُزْنِها!

أراكَ في أعصابي

أخبرتُكَ سابقًا في حديثٍ بيننا، أنَّ مشاعري الخاصَّة بك مرتبطةٌ بجسدي ارتباطًا وثيقًا!

قد تكسِرُني منك كلمةٌ وتَجعلُني في قمَّة وعيي حتى وإن لم أنمْ لأسبوعين، أو تُحييني ضحكةٌ تُطلِقُها على مسامعي كإكسيرِ حياة!

لا أعلم وقتها إن كنتَ قد سمعتني حين قلتُ ذلك لشدة إرهاقك واحتياجك للنوم!

أخبرتُكَ أنَّه عندما ينتابني منك أذًى أو غضبٌ، لا أستطيع وقتها رؤية شيءٍ خاصٍّ بك. في تلك اللحظة فقط، ولِمُجرد أن ألمحَ صورةً لك وأنت تُسافرُ وتضحك، أجدها قادرةً على الفتكِ بي بقسوة!

يقتلني أمرُ أن تعيشَ الحياة وتُجاري الناس، بينما لا أستطيع حتى رفعَ يدي اليُمنى لوضعِ قطعةِ بسكويتٍ بين شفتيَّ لإشباعِ جوعي!

كلُّ ما يخصُّ مشاعري بك وقتها يفتك بجسدي، وقد يجعلني قعيدةَ الفراش!

شفتيَّ ترتعشانِ كإشارةٍ قويةٍ أني مُهددةٌ بفقدان الوعي، كلُّ جسدي يتمنى وقتها لو أنه يهدأ، لكن لا مجالَ، ولا طريقة!

أنتَ لستَ هنا!

وصورُكَ تقتُلني دون أن تعي! فأَتَجنَّبك، رغم احتياجي إليك، رغم احتياجي لسماع صوتِكَ يقول اسمي فقط، أحتاجُ مُحادثتَكَ دون صوت، دون أن أقومَ بمجهودٍ لتحريك شفتيَّ ونُطق الكلام! يديَ اليُمنى ترتجف الآن! أنا أراكَ في أعصابي جيدًا!

كنتُ أحتاجُ أن تكونَ هنا، لأطمئن! فقط، أُدَثِّر في حضنك جسدي كطفلٍ يُرعبُه الكون!

كنتُ أحتاجُ جسدَك لأنام!

وحيدًا في السّماء

وأذكر أنّني في آخر مرة التقينا، حين باغتني الشوق وهبّت العواصف الملونة من قلبي، أخبرتك أنّ لمستك تجعلني أقبض على إحساسي كمن يقبض على الحياة. ها أنا أنتظرك حتى تأتي، وأحرث المجرة في قلبي، وأصنع من جسدي نایاً ذكيًا ليسعدك ويُنسيك وحشة المطارات!

أعانقك فتردم الهوّة الشاسعة بيننا، ويتفجر الجرف بالأنهار!

أنتظرك لتضيء ليلك مصابيح نهدي، ويكون جسدي وسادتك!

أنا ومعي كل شيء في هذا المكان، أدرك جيدًا أنّي لا شيء بدونك حين أنتظرك وحيدة، وأنت تحرق الغيمات بعينيك حين تجلس في طائرتك وحيدًا في السّماء، وأنت تدور الآن في توهة الرّحيل الذي لطالما عانيت منها، وأنت تجلس على مقعدك، وتفكر في الخسارات وتبتكر طريقتك الخاصة للخروج من المعاناة والقلق والاحتياج، وأنت تتمنى لو أنك تفتح النافذة التي بقربك لتشم الهواء وتلمس القمر!

أتخيلك الآن من مكاني هذا وأنت تسند رأسك إلى الخلف، وتتمنى أن أكون زلزالك، وأن تخطف لي غيمة حين تمر طائرتك قربها، لتخبئها في سريري، فأغفو في ليل التوهة مطمئنة!

أعلم أنّ ليلك يشبه نهارك، وأنه أحيانًا يكون أشد ترويعًا منه لأنّ وحدتك لا تنتهي، ولأني لست معك! لقد حاول العالم كسرنا، لكنه لم يفلح، وها نحن أحياء نرتق الجرح، ونشرّد آلامنا لتتقاذفها الرّياح!

ها أنا أنتظرك في بيت يشبه البيت، لكنه يخلو من حقائبك وهداياك وورودك وأنت!

أنا أنتظر، خذ وقتك حتى تصل! اهدأ، ليلتقط صدري تنهيدتك، ويستريح صراخك في فمي!

للمرة الألف تسافر وتعود، وأعلم أنك تحزن حين لا تجدني لتتدثّر بي فوق فراشك بعد تعب السفر ومعاناتك في الحياة، فراشك الذي يكون ضيقًا حين تبكي، وفقيرًا عندما تشتاق!

سوف تصل، أنا أؤمن جيدًا بالمصير، وأعلم أنّ في النهاية سأجدك تدخل من الباب مبتسمًا، فيزحف الفرح إلى قلبي، حتى وإن كان متعبًا من قسوة الطريق والمسافات!

قل لقلبك لا بأس، واعلم أنّ مصيرك في حضني، وأني سألعق لك الجرح!

أعلم أنك مثلي الآن تنقص حضني! سيظل كونك يتسع في قلبي، وسيبقى لون العشب الذي نفخت فيه من روحك يشتعل في عيني، نحتاج كل حزننا كي نغسل الألم المعتق في الوريد، لأن الوصول إلى الفرح بغير حزن لن ينبت أملاً، قد تقتل أرواحنا، لكن من عذاباتنا سينشق نهرًا، فنشرب عذوبته ونستريح!

أحتاج وجهك الآن كي أرتدي جمالي فتراه، وتهتدي بعد غربتك، فأعيش بعد طول موتي!

لماذا لا تسرع عقارب الساعة؟ أريد اللحظة التي أعانقك فيها وأن أعيد الزمان ليتكرر، ثم أوقفه كي لا تسافر وكي لا نفترق، أتأمل ذاتي في قلبك فأراك، وأتأمل ذاتك في قلبي فأراني!

وأنت في طائرتك الآن، لُمّ كل الأفق بذراعيك، أريد أن أحبسه في قلبي فلا تكون وجهتك إلا له. لستُ أنا من يبكي الآن، إنه قلبي الذي يئن وأنت مغترب عنه، فتعال سريعًا، واقترب، اغرسني في صدرك كزنبقة، وانغرس في روحي كالفرح!

لم تَعُدْ تُعنيك النّجاةُ

لن تغرقَ في البحرِ مرّتَين!
الأسطورةُ تقولُ: إنك ستتعلّمُ من غَرَقِك الأوّلِ كيفَ تُصارعُ المياهَ وترفعُ رأسكَ لتحيا، ستنجو ببدنِكَ حتى وإن امتلأتْ رئتاك بالمياهِ.
ستخرجُ بلا روحِك، لكنّ ثَمّةَ درساً بعدَ غرقِك الأوّلِ!
لقد لَمَسْتَ العُمقَ، وشعرتَ بهزّاتِ خوفٍ لا حصرَ لها، لكنكَ عُدْتَ إلى السطحِ خفيفاً، ولم يَعُدْ يُثقِلُكَ وهمُ النّجاةِ!
لقد تذوّقتَ قدراً كافياً من الملوحةِ جعلكَ تعي جيّداً معنى أن يستسلمَ جسدُك لبريقِ البحرِ دون أن يخشى هدوءَه الحَذِرَ!
لقد تَسلّلَ عبرَ خلاياكَ وصِرْتَ أنتَ هو بشكلٍ ما، فلم يَعُدْ يُجزِعُكَ تلاطُمُ الموجِ ولا شَساعةُ مَداه!
لن تغرقَ في البحرِ مرّتَين، لأنك ذُقتَ الغَرَقَ الأوّلَ ولم تَعُدْ تُعنيك النّجاة!

كلحنٍ حزينٍ

تتسربُ إلى أُذني، وتسقطُ على قلبي كصاعقةٍ تشقه نصفين، تتغلغلُ بأعصابي وتُثيرُ المآقي، وتُفجّرُ دمعي من بين صخورِ تجمدي، وتستفزُّ بؤبؤ عيني فأدمعُ بكَ، ولكَ، وعليك، كلحنٍ حزينٍ يعرفُ مداخلي ويشدُّ شرايين قلبي ويعصرها، فينسكبُ حنيني إليكَ كما تنسكبُ زجاجةُ عطرٍ أهديتني إياها، فتؤدبني بكَ حين أتظاهرُ بأني نسيتكَ، وتضربُ روحي بسياطكَ، وتُجبرني على معاقبةِ نفسي لأنني لم أكن مؤهلةً لأملأ الفجوةَ التي خلفتها أيامك!

كلحنٍ حزينٍ أغني معه وأسكبُ نفسي في نوتته، لأتحول إلى علامةٍ صغيرةٍ تشبه "الدو"، وأتخيلكَ في "الميّ"، فأتخطى "الري" وأخطفك، وأقفزُ إلى "الصول" في محاولةٍ للهرب بكَ من باقي النوتاتِ التي تتبعك، فأظفرُ بك وحدي!

مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ

قَلْبِي يَقْفِزُ فِي صَدْرِي بِحَرَكَةٍ لَا إِرَادِيَّةٍ حِينَ تَسْأَلُنِي: مَا الَّذِي يَرْبِطُ الْبَحْرَ بِالْقَصِيدَةِ؟

أُجِيبُ وَالنَّهْرُ يَنْدَفِعُ مِنْ حَلْقِي: هُوَ الْغَرَقُ!

أَنْسَى يَدِي الْيُمْنَى فِي جَيْبِكَ وَأُمَرِّرُ أَصَابِعَ يَدِي الْيُسْرَى عَلَى شَفَتِكَ السُّفْلَى، أُحَاوِلُ إِثَارَتَكَ دُونَ حِسَابَاتٍ مُسْبَقَةٍ!

أُحِبُّ كَوْنِي أَتَسَلَّقُكَ كَشَجَرَةٍ!!

وَيَرُوقُنِي تَصَوُّرُكَ حِينَ تَرَانِي كَقِطَّةٍ فَرَّتْ مِنْ ظِلِّهَا وَذَيْلِهَا لِتَعْتَلِيكَ.

نَايَاتُكَ أَزْمَتِي الْآنَ!

الْمُوسِيقَى الَّتِي يُصْدِرُهَا صَوْتُكَ لَا تَكُفُّ عَنْ تَوْرِيطِي فِيكَ أَكْثَرَ..

شَتَّانَ بَيْنَ ظِلٍّ وَظِلٍّ!

أَنَا أَسْقُطُ فِيكَ كُلَّمَا كَانَتْ كُلُّ مَوْجَةٍ فِيكَ أَقْوَى مِنَ الْأُخْرَى!

"مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ"

كُنْتَ حُلْوًا كَنَهْرٍ، وَبَغَى فِيكَ بَحْرِي.

دوّامة من الخيول

أرقص وحدي في دوائر، كل نغمة تصنع مني نسخة أخرى!!
أبحث عن نفسي في كل واحدة على حدة!
أين أنا؟! أتوه بين الضحية، والجلاد!
أيُّها أنا الحقيقية؟! من أنا؟؟
قيل لي أن أتنفس جيدًا، لتعود رئتي للعمل من جديد، لكني، وكلما أتى الليل تلبستني روح سيلفيا بلاث، شغفها بالحزن، واندفاعها نحو المجهول، تأتي وتذكرني، كيف نامت داخل فرنٍ مطفأ، فخدّرتها سحابات الغاز! وقتها، يداهمني صوت -مارغو سوفي- الآتي من زهرة بروميليا في حضن الغابة حين غنت "قبلات شبحية"، فأيقنت بأن هناك "دوّامة من الخيول" لم أمتطِها بعد.
ها قد أتى الصباح، يوم جديد بدونك، ما زلتُ لم أنم، أغلقتُ جميع الستائر كيلا أسمح للشمس أن تتسلل.فتراني!
اختبأتُ كقنفذٍ في فراشي، اختليتُ بصوت -باربرا برافي-
غنّت أغنية Le jour se lève ، ذكرتني أني نسيتُ أن ألتقط لنا صورة تجمعنا حين العناق، فأمسكتُ بصورتك التي أخبرتك أني أحبها، وزرعتُ جسدي في حضنك، قبّلتُ عينك، شفتك، قلبك!
وغفوتُ، بينما كادت دقات قلبي أن تلمس سقف الغرفة!

تُوقِظُ اليراعَ في جَسَدي

كان يمكنُ ألَّا نلتقي أبدًا، لكني سمعتُهم يقولون: لا مفرَّ، فارتديتُ ظلِّي، تنفستُ ما تيسَّرَ من عطر "شانيل" فهربَ بعضُه في دمي، ففاحَ كما تفوحُ رائحةُ التفاحِ في حضنِ شجرةٍ يلتفُّ حولَها الصدى!

شربتُ جرأتي وبعضًا من عصارةِ الكرزِ الحامض، لبستُ جسدي على روحي العارية، فسترتُها كي لا تتبخرَ رغباتُها في الهواء، واحتفظتُ بها كاملةً لك!

تركتُ رغبةَ الهروبِ تعاني وحدَها في دُرجِ المرآة، ومضيتُ فيك إلى حتفي. ما الذي يجعلُ امرأةً مثاليةً إلى هذا الحدِّ أن تكونَ فسحةً لرجلٍ يرى حتفه كلَّ يوم، يجلسُ ككلبِ حراسةٍ أمام البيت، يستيقظُ فاقدًا للشغفِ، يودُّ لو أنه يُمسكُ قدرَهُ بيديه ليصفعَه مئةَ صفعة، ويُفند الفرحَ فيه ليخطَفَه فيضعَه في جيبِ قلبِه ويربِّت عليه بخمسِ أصابعَ تودُّ لو أنها تخنقُ الحزنَ بغضبٍ وتقتله.

بخمسِ أصابعٍ تلمسُ شعري، تلمسُ خدي، تلمسُ شفتي، تلمسُ عنقي، فتُغني كهدهدٍ وجدَ عُشَّه أخيرًا، وتنبأ بامتلاكِ أمواجي البيضاء، وانتظرَ وهو ينظرُ في عيني، حتى تجتمعَ جميعُ ثوراتي في جسدي!

بخمسِ أصابعٍ تُوقِظُ اليراعَ في جسدي، فأتمهَّد لك بشهقةٍ، وأنتهي برعشة، فيتوهَّج توتٌ أحمرُ في دمي، يُضيء جلدي، فيندمجُ الأحمرُ والأبيضُ، ويتدفَّقُ عسلٌ ذهبيٌّ تبحثُ عن مجراه وتتساءلُ: من أين تفجَّر؟

فتجدُ الجوابَ في ارتجافةِ صوتي، كلُّ هذه الآهاتِ تستنفرُ لتحياك.

لم أدرِكْ معنى الحياةِ، لي ثلاثون خريفًا وبضعُ سنواتٍ عجاف، لم يكن مقدَّرًا أن نلتقي، كان الأمرُ مستحيلًا لولا الفضولُ والعنادُ ورغبةُ البحرِ بأن يثور، لم يكن مقدَّرًا أن نلتقي لكن شيئًا في خلايانا كان يتجاذبُ بعشوائية فنادى الدمُ على الدم، والعينُ على العين واليدُ على اليد، والقلبُ ناجى القلبَ أن تعال فانسكبَ ظلانا من جسدينا.

التقيا عند مفترقِ طريقٍ لم تعبره ولم أعبره، فتوحدا وتوسلا للقدر أن نجتمع، فالتقينا!

كيفَ يفترقُ حبيبان في أوجِ اللقاءِ والذوبان؟ كيفَ يُغلقان صمامَ الوقتِ كي لا يتسرَّب؟ وينتهي!

أحاولُ أن أَسْردَ القصةَ من البداية، وأدركَ الحكمةَ منها، وأستخلصَ نتيجةً واحدة: أن نلتقي في سرير واحد، فتنامَ على ضفائري الكستنائية، ترضعُ حليبَ الفرحِ من جسدي، فيُنفى الحزنُ من دمك، وتعودَ سعيدًا!

أستخلصُ المعنى من اسمك، أربعُ حروفٍ تمشي بي إلى جنتي، تحملني حين أتأرجح كسِكّيرة، ويفيضُ الخمرُ من بين شفتي

فتهمسُ: هاتِ المزيد!

من حُسن حظي أني أصدقُ حدسي، وأعلمُ أن الطريقَ الذي قادني إليك كان يأخذني إلى وطني، وأنك النبيُّ الذي لن ينكسر حتى وإن كان القمحُ مُرًّا وغيمُ السماءِ جارحًا، لن تنكسر.

لن ترحل وسيبقى جسدك، سيتقمصُك الحبُّ فأتقاسمك معه، فيتحولُ صوتُك إلى قصائدَ، تحاصرني كطيورٍ، تُحييني كلما مِتُّ، تصنعُ أجنحتي وتمهدك كرياحٍ تحملني، فأطيرُ فيك.

لقد كتبتُ كثيرًا قبلك، حاولت شرحَ نفسي، كتبتُ عن الحبِّ، وعن الحرب، وعن الغناء وحُسن الوجه والصوت.

خيالي كان يرسمُ الكلماتِ ويرتبها، يبعثرُها، يجمعُها، يُشوهُها، يُجمِّلها، ينبشُ الترابَ ويصبُّ فوقه الماءَ، فأصنعُ من الطينِ رجالًا لم أكن أعرفهم، رأيت ملامحَك فيهم، لكني كنتُ أجهلُ كيف أحفرُك كما يجب، والطينُ أصلُه ماء!

لم أُتقن ملامحَك إلا بعد أن التقى الماءُ بالنار، استرجعتُك في الخزف وأرضعتُك ماءَ روحي، فصرتَ أنتَ جنتي ونيراني، قلتُ لك: خُذني معك فجعلتني ندبةَ قلبك، وصارت أصابعي بيانو تعزفُ عليه ألمك، فأنوح وأُطلق صوتي كأنين، وأغني: يا وجعي يا فرحي، أتوسلُ لألمي فيك، أن يمتهنَ البياض، قل له أن يكون أبيضَ ولو قليلًا.

واملأني بك، املأني بمائك، بنارك، باسمك أستودعُ بقاياي، وأكونك. أكون جسدَك المؤقت، كيانَك الدائم، وسحرَك العائم،

سرك الغائم، وأعلم أني لم أحبَّ قبلك، ولم أَعِ معنى الحبِّ كما يجب، فابكيني مطرًا، لأعرفني فيك، وأعرفَك.بللني بك، لأغرقَ في الحب، وأفيضَ به عليك كما يفيضُ الدفء، في بال المشردين.

بللني بك لأسحبك معي، كما يسحبُ البحرُ القواربَ، ويغرقُها ولا يكترث برایاتها.

أحيانًا أحتاجك أن تبكي، أن تصرخ، أن تبدو أحمقاً وأنانيًا، وفوضويًّا وغيرَ مكترثٍ.

أحتاجُ أن تكونَ طفلًا، وشابًا وعجوزًا، أن تُغني بما يكبته غموضُك لأغرقَ فيك فألمسَ أعماقَك، وأبقى هناك. أحاولُ التقاطَ كل ما سقط فيك ولم تلفظْه، إرتجِف ونَفّض جحيمَك، وكُن خفيفًا كنسمةٍ، وعانقني لأكنْ قدمَك، لأسيرَ بك إلى نعيمِك، فتكونَ الظلالُ أشجارًا، وعيونًا خضراء، ويكونَ القلبُ طيرًا فيُحلّق حرًّا نحو الربيع دون توقف. يَشمُّ البرتقاليَّ في شفق السماء، ويَغمسُ جناحيه في حليبِ المدى، وينتشي.

أخافُ أن أعرف

أخافُ أن أعرف، أن يكونَ الأمرُ يقيناً، اليقينُ حاسمٌ ومؤلمٌ
أخافُ أن أتأكدَ، فأغرقَ في الغفلة، وأتمادى في الجهلِ
أحاولُ أن أرتاحَ، أستسلمُ، فينتابني الشكُّ، الشكُّ أقسى من المعرفة، الشكُّ قاتلٌ، تؤرقني احتمالاتُه، تجعلني أُصابُ بانفصامٍ فلا أكون في جسدي، لا أتفقُ أنا وجسدي، أكونُ فيه ولستُ فيه، يحاول إقناعي بشعورٍ فأوهمه بآخرَ، أنا وجسدي! لا نتفقُ!
يتوترُ قلبي، أرتجفُ! تنحرني أفكاري بسيفٍ باردٍ على مهلٍ!
أخافُ المعرفة، ويقتلني الشكُّ، فيخنقني اليقينُ.

لَن تُسعِفَنا التِّيكِيلَا.

أكرَهُ الرَّسائِلَ الصَّباحِيَّةَ، فَهِيَ كَعُودِ ثِقَابٍ يُحرِقُ الصَّباحَ بِرَأسٍ بَارِدٍ، لَكِنَّ بَعضَ الرَّسائِلِ أَيضًا تُسكِنُ القَلبَ وَتَجعَلُهُ بَارِدًا.

حَلقِي يُؤلِمُنِي مُنذُ لَيلَةِ البَارِحَةِ، عِندَمَا ارتَشَفتُ رَشفَةً سَاخِنَةً جِدًّا مِن خَلِيطِ القِرفَةِ بِالزَّنجَبِيلِ وَابتَلَعتُهَا سَرِيعًا.

لَم يَكُن يَركُضُ خَلفِي أَحَدٌ! وَلَم يَكُن مَعِي أَحَدٌ! وَلَم يَستَعجِلْنِي أَحَدٌ! فَلِمَ التَّسَرُّعُ؟!

هُنَاكَ رَغبَةٌ وَهُنَاكَ قَدَرٌ... فَمَاذَا عَنِ الرَّغبَةِ؟ "لَم يَترُك لَهَا القَدَرُ مَجَالًا".

شَيئَانِ يُسَيطِرَانِ عَلَى تَفكِيرِي مُنذُ يَومَينِ:

كَيْفَ أَنسَى الأَشيَاءَ الَّتِي لَا أَرغَبُ بِوُجُودِهَا فِي ذَاكِرَتِي عَلَى المَدَى البَعِيدِ؟

وَكَيْفَ أَتَخَلَّصُ مِنَ الزَّهَايِمَرِ المُؤَقَّتِ الَّذِي يُصِيبُ ذَاكِرَتِي عَلَى المَدَى القَرِيبِ؟!

أُحِبُّ وُجُودَكَ الخَرِيفِيَّ، وَلَكِنِّي كَالمَطَرِ لَا يَعتَرِفُ بِالخَرِيفِ، وَرَغمَ هَذَا أَعيشُهُ!

أَعتَرِفُ بِأَنَّ صَوتَكَ شِتوِيٌّ، وَلَاذِعٌ كَمَذَاقِ اللَّيمُونِ، وَحَارٌّ جِدًّا كَمَذَاقِ الفُلفُلِ الأَحمَرِ!

لَا تَنظُرْ كَثِيرًا لِأَصَابِعِي، فَأَنتَ تَحتَاجُ لِذَاتِكَ، غُضَّ بَصرَكَ قَلِيلًا... فَتِلكَ الأَصَابِعُ فَخُ أَفَاعٍ سَيُخدِّرُكَ حَتمًا، فَتَأكُلُ ذَاتَكَ عَلَى غَفلَةٍ!
لَا تَكُن حَزِينًا لِهَذِهِ الدَّرَجَةِ.
أَنَا أَحمِلُ قَلبِي بَينَ يَدَيَّ، وَأَرتَدِي قَمِيصًا مِنَ الحَرِيرِ الفِرنْسِيِّ مَصنُوعًا خِصِّيصًا كَيْ لَا يُلَائِمَ سِوَى جَسَدِي، وَزُجَاجَةَ "Teeling" كَبِيرَةً لِأَنَّ اللَّيلَ طَوِيلٌ، وَلَن تُسعِفَنا التِّيكِيلَا!
أَمشِي عَلَى كَتِفِكَ بِمُحَاذَاةِ عَقلِكَ بِخِفَّةٍ، وَأَسقُطُ بِأَفكَارِكَ فِي مُحَاوَلَةٍ لِاحتِلَالِهَا قَلِيلًا، وَلَكِنِّي أَخشَى الأَماكِنَ المُظلِمَةَ، فَأَتَسَرَّبُ مِن عَقلِكَ كَحُلمِ يَقَظَةٍ فِي لَيلَةٍ بَارِدَةٍ.
مِنَ السَّهلِ أَن أَحكِيَ لَكَ عَن مَشَاعِرِي لِتَستَرِقَ النَّظَرَ بِدَاخِلِي، وَلَكِنِّي لَا أُجِيدُ تَرتِيبَ كَلِمَاتِي، سَتُخِيفُكَ عَشوَائِيَّتِي، فَتَهرُبُ مِن رَأسِكَ إِلَى رَأسِي إِلَى رَأسِكَ فِي مُحَاوَلَةٍ لِلإِفلَاتِ مِن سَيلِ أَلغَازِي، وَلَكِنَّكَ سَتَعُودُ حَائِرًا لِتَسأَلَنِي... وَلَن تَجِدَنِي.
مُرتَبِكَةٌ وَخَائِفَةٌ، وَلَكِنِّي لَا أَعلَمُ كَيفَ يُعَانِقُ شَخصٌ خَائِفٌ شَخصًا آخَرَ أَكثَرَ خَوفًا؟ رُبَّمَا أُعَانِقُكَ فِي رَأسِي، وَأُوَاسِيكَ فِي رَأسِي، وَأَغفُو بِجَانِبِكَ الآنَ فِي رَأسِي.
وَأُخبِرُكَ أَنِّي لَم أَكُن يَومًا كِتَابًا مَفتُوحًا لِأَحَدٍ كَمَا كُنتُ لَكَ فِي رَأسِي، وَلَكِنَّكَ لَن تَعلَمَ عَن ذَلِكَ شَيئًا، وَسَتَغفُو خَائِفًا وَحَائِرًا، وَسَتَعتَقِدُ أَنِّي جَاحِدَةٌ وَلَا أُبَالِي.
سَتَنَامُ خَائِفًا... وَلَكِنِّي سَأُعَانِقُكَ كَثِيرًا فِي رَأسِي.

مُقَدَّسٌ، لَا يَدْنُسُكَ غَضَبِي

أَكُونُ أَنْتَ بِطَرِيقَةٍ مَا، أَصْفَعُكَ، فَأَصْفَعُنِي!
أَتَخَيَّلُكَ نَجْمَةً، فَأَلْمَعُ. تَتَوَهَّجُ فَتُحْرِقُنِي الرَّغْبَةُ!
أَكُونُكَ بِطَرِيقَةٍ تَسْتَفِزُّنِي!! أَبْتَعِدُ، فَيَشُدُّنِي وَجَعُكَ، يَسْحَبُنِي عَلَى وَجْهِي، أَتَشَبَّثُ بِعَزِيمَتِي، أَغْرِسُ فِيهَا أَظَافِرِي، فَتَسْحَبُنِي لِتُقَرِّبَنِي.
يَلْفِظُنِي الرَّفْضُ، فَآتِيكَ مُمْتَلِئَةً بِشَوْقٍ يَنْسكُبُ مِنْ عَيْنِي، مِنْ رُوحِي، مِنْ قَلْبِي فَتَشْرَبُنِي!
يُبَاغِتُنِي عِنَاقٌ يُهْدِرُنِي، يَسْقُطُنِي فِي حُضْنِكَ، فَأُودِّعُ مُكَابَرَتِي
أَكُونُ كَمَدِينَةٍ مَأْهُولَةٍ بِكَ، لَا شَيْءَ غَيْرَكَ!
وَتَكُونُ أَنَا فَأَبْكِي فِيكَ تَوَحُّدِي وَوَحْدَانِيَّتِي، يَنْكَشِفُ عَنْ بَصِيرَتِي الغِطَاءُ، فَتَكُونُ بِعَيْنِي الوَحِيدَ دَائِمًا المُنْفَرِدُ بِذَاتِي، مُقَدَّسٌ لَا يَدْنُسُكَ غَضَبِي.

ما بين حنينٍ وسخط

السّاعة السادسة صباحًا، كلُّ شيءٍ هنا ينظر إليّ. لا تترأف عين الجدران بي حين تراقبني!

أسمع أزيز الباب، يصدر نشيجًا كالبكاء، أنهض من فوق فراشي بقدمين عاريتين، أسير بخطواتٍ حذرة وكأنّي أخشى على الأرض ثقل خطواتي، أرتفع مجرّد سنتيمترات.

أسير على أصابعي، أتنفّس بحذرٍ كي لا أقلق الهواء، آخذ حاجتي منه فقط! أملأ نصف رئتي، والنصف الآخر أتركه كما هو، يهيم في الغرفة مع رفقائه دون أن أفرّق ذرة عن ذرة!

أسير نحو الباب، ألمسه بأصابعي الخمس بحذرٍ بالغ، وكأنّي أربّت على وحدته وانتظاره، وقسوة صموده، في بيت يشبه البيت، لكنّه ليس كالبيوت ولم يشبه الأوطان يومًا!

أغلق عيني لبرهة، أراك هناك تستمع لـ "لويس أرمسترونغ"، وتغنّي بصوتك الرخيم "What A Wonderful World!" ولا تتذكّرني!

هل بات العالم جميلًا حقًّا وأنا لست هنا؟

طالما أحببت عينيك، دائمًا ما كنت أتخيّلك حين تشيب، ويفقد خدّاك لونيهما، هل ستتذكرني وقتها كحبٍّ قديم حين ينحسر سحر الشباب؟ ويتغيّر مظهرك، وتتذبذب مشاعرك ما بين حنينٍ وسخط!

هل ستذكر أنّك كنت تحبني حقًّا في السنوات التي ستلي كلّ ما ذرفناه من عذاب؟ هل ستذكر خصلاتي الذهبية، والحمرة الجاثية على خدّي؟ أم ستنساني لأنّ ثمة امرأة أخرى أتقنت دور المنقذ الذي لم أتقنه، لأنّ القدر لم يؤهّلني لأنقذ نفسي وأنقذك، لكني وقتها سأحبّكِ كثيرًا!

لن أنسى روح الطّفل الذي كان يطمئن حين أعانقه، فيبكي بينما يتظاهر الرّجل فيك بالصمود!

كم تمنيت أن أنساك، لكن قلبك اللطيف الذي لم تظهره كلمات كان يلوح لي كلّما أغلقت عيني، فكنت أراه جيّدًا في عينيك الحزينتين، لأنّ العين مرآة الروح، وكم أحببت روحك، لأنّ الروح لا تكذب، ولا تدّعي النسيان!

كما نفعل حين نكذب على أنفسنا، وندّعي أننا نسينا، يهزّنا أزيز الأبواب، ويفطر قلوبنا نحيب الهواء، وتجرحنا الصور، وتقتلنا الذكرى!

ندّعي أننا لم نفقد، ولم نُفقَد، لم نتخلّ، ولم يُتخلَّ عنّا، بينما لم يمرّ الأمر بسلام، وبات يؤلمنا كلّ شيء!

بعدَ أنْ تبادلْنا الرسائلَ،

أريدُ أنْ أُعانِقَكَ بعبارةٍ تُهَيِّئُ المعنى ليصفَ لكَ دِفءَ عناقِنا، فيصلَ لكَ عِناقِي دونَ أنْ نَتَعانَقَ، فيتوهَّجَ وجهُكَ وتسخنَ أطرافُكَ، فتتَعَجَّبَ هذا الدِّفءِ الذي سارَ بكَ، وتمَدَّدَ عبرَ جسدِكَ بمجردِ قراءةِ جملةٍ دافئةٍ كتبتُها لكَ وأنا أرتَجِفُ بردًا، فَوَصَلَتكَ كما ينبغي أنْ تَصلَ.

أريدُ أنْ ألتقِيَ بكَ في السوبر ماركت، أو على كوبري ستانلي، أو في الطريقِ الطويلِ عندَ ناصيةِ زقاقٍ جانبيٍّ يقفُ على رصيفِه عمودُ إنارةٍ ذو ضوءٍ أصفرَ دافِئٍ، بقربِ دُكّانٍ صغيرٍ لبيعِ الكنافةِ النابلسيةِ الساخنة، فيختلِطَ وجهُكَ بدِفءِ الضوءِ، وأنتَ تحمِلُ قطعةً ساخنةً، تُطلِقُ بخارَها بينَ أصابعِكَ، فتختلطَ رائحتُها بصوتِكَ الذي يشبِهُ إبرةً تحكُّ أُسطوانةَ جرامافون حينَ تقولُ لي: "افتحي فمَكِ"، فتذوبُ بفمِي مع كلمةِ "أحبُّكِ" وتسقُطَ مِن شفتيكَ مع المط، هذا المطرُ يُبهرُني دائماً حينَ لا أنتظِرُهُ، ويُفاجئُني كطفلةٍ تُجَهِّزُ لِسانَها لاستقبالِ الرياحِ المُحَمَّلةِ بهِ، يُبهِجُني مذاقُهُ المُملَّحُ المليءُ بالحياةِ، يُشبِهُ مذاقَ شفتيكَ حينَ تُسكتني بقبلةٍ بعدَ غضبٍ وصُراخٍ دارَ بينَنا.

أنا أُعَبِّرُ عنكَ في القصائدِ لأنَّ يدي قصيرةٌ جدًا لتَصِلَ إليكَ، أُعَبِّرُ عنكَ لِتَمسَحَ مشاعري على وجهِكَ وعنقِكَ.

كنتُ فيما مضى أعدُّ الوجوهَ التي كنتُ أظنُّها تعنيني ، لأدركَ أنَّها كانت مجردَ جماجمَ لم تَعنِ شيئًا!

كنتُ جبانةً لأعترفَ بذلكَ، ولكني الآنَ وبعدَ كلِّ هذه السنواتِ، أدرَكتُ جيدًا من الذي تسببَ في خرابِي، ومن الذي أنقذَني من كلِّ هذا الخرابِ بكلمةٍ، أو حتى بنظرةٍ قد لا يقصدُها!

أنقذَني هكذا بكلِّ هذه البساطةِ وبدونِ أدنى مجهودٍ، بعدَ هذه السنواتِ، يُدرِكُ المرءُ جيدًا من الذي أوقعَهُ في دواماتِ نفسِهِ ومَن الذي أنقذَهُ منها.

كلُّ هذه السنواتِ لم تَمرَّ هباءً، في قلبِ المأساةِ أرى عينيكَ، وأُصابُ بقلقٍ يضعني أمامَ أسئلةٍ يجبُ أنْ أُواجهَها! قدْ تُرضيني أنصافُ الإجاباتِ وتَنتَشِلُني من شُكُوكِي وتَجعَلني أنامُ ليلًا، تُريحني من قلقٍ لا نهايةَ له، وتمنحني دليلًا أنَّ هناكَ فكرةً تجعلني أستريحُ قليلًا بداخلَها.

أختبئُ في كلماتِي التي تجعلُني على ثقةٍ تامةٍ بأنَّ سطورِي قد تَخلُقُ لي أملًا بعدَ أن تسحقَني خيباتُ الحياةِ!

أريدُ أنْ أُقبِّلَكَ لمرةٍ واحدةٍ بعدَ أنْ أنهيَ مسؤولياتِ اليومِ لأختبئَ في دِفئِها، أريدُ أن أشعرَ بالحريةِ عندما أريكَ جميعَ جوانبِي المُظلِمةِ والمُتناقضةِ!

أنا جميلةٌ الآنَ لأنَّ عينيكَ تَلمساني كلَّ ليلةٍ، وتَزرعُ الأزهارَ حولَ عظامي بعدَ كلِّ هذه النكباتِ، أنا دافئةٌ لأنكَ تتحوَّلُ إلى نيرانٍ يَتصاعَدُ منها دُخانُ معاناتي لتُبقيني خاليةً ومطمئنةً.

العاصفةُ تجلِدُ الجدرانَ، وتهدِّدُ أسلاكَ الإنترنتِ وتزعزعُ أمنَ هواتفِنا، وتهدِّدُ سلامَنا العاطفي، وحدَهم مَن ينامون في المقابرِ لا

يُدرِكونَ أمرَ أنْ ينقطعَ مِدادُ هواتفِنا، فنتركها تنامُ في أدراجِنا كالموتى، منطفئةً وباردةً، وحدَهم الموتى لا يُدركون سيلَ الدمعِ عندما يحيدُ عن مسارِه، ووحدَهم لا يكترثونَ بأن يرتَعِدَ قلبٌ يَنقُبُ عن رسالةٍ فيها من الكلماتِ ما يُطمئِنُ خوفَهُ ويُهدِّئُ نبضَه.

وحدَهم لا يأبهونَ أن تنقطعَ صلتُهم بأحدٍ كان يُحيي أملًا بهم، لهذا السببِ ما زلنا نتبادلُ الرسائلَ والكلماتَ نحن المهتزونَ المترددونَ، لأنَّ ثمةَ أملًا تُخبئُهُ الكلماتُ حينَ يتبادلُها قلبانِ لم يعرفا الغناءَ إلا بعدَ أن تبادلَا الرسائلَ.

كلُّ همسٍ فريدٍ بيني وبين الله هو لك.

الحياةُ لم تكن سهلةً، أجزِمُ أني أعرفُها الآن، المعاناةُ والحزنُ حاوَلا أن يُتقِنا دورَهما، هدرَ الزمنُ كلَّ قوتنا، وحتى الآن يُباغتُني الفقدُ ووحشتُه!

الخروجُ من الشرنقةِ لم يكن سهلًا، ما زلتُ أتنفسُ بالداخلِ لأبقى على قيدِ الحياة، لكن، ليس هناك ثمةُ ثقوبٍ لألتقطَ الهواءَ بشكلٍ جيدٍ!

مارستُ لعبةَ البقاءِ بالطريقةِ الصعبةِ، تلذذتُ بالغرقِ في الحب وحاولتُ برقةِ فراشةٍ أن أعبرَ من شوكِه دون أن يُخدَشَ جناحي، ورغمَ هشاشتي، قررتُ أن نلتقي مرةً أخرى لأنك لم ترني جيدًا من هنا!

البُعدُ يصنعُ الحواجزَ، ويجعلُ الرؤيةَ مزدوجةً، وهذا لا يجعلني أسكنُ عينيك كما أريد، تنحيتُ جانبًا فقط لأجعلك تتنفسُ الآخرين، أغلقتُ على نفسي أكثر، وهذا لا يعني أنني لا أراك وأسمعك.

معضلتي الآن، أني أشعرُ بأنك متعبٌ وبأني سبب، لكنك تخفي ألمك بطريقةٍ تجعلك تبدو قويًا كجبال الثلج، هذه المداراةُ تُتعبني أكثر.

أودُّ لو أنك تصرخُ بألمك لأقبلَ موضعَه، أراقبُ وجودَك في الداخل، وأسمعك تُنادي بهمسٍ، وكأنك تخشى أن أسمعك!

أريدُ أن تكونَ بهذا القربِ لأمسكَك بإحكامٍ كما فعلتُ بآخرِ مرةٍ، مخفِّفةً ألمَك بكلِّ ما في وسعي، هكذا أحتفظُ بك، لأنه ليس من السهلِ لنا أن نكونَ بعيدَين.

"كلُّ همسٍ فريدٍ بيني وبين الله هو لك" ، سنلتقي مرةً أخرى عندما يحينُ الوقتُ المناسبُ لنا فقط.

سأكونُ بهذا الانتظارِ طوالَ حياتي، آملةً أن أراكَ مبتسمًا، وواقفًا بصبرٍ، كما هو حبي لك.

المَشهَدُ الأوَّلُ

هَشَّةٌ جِدًّا، أَتَشَقَّقُ مِنَ الدَّاخلِ، لكِنَّ لا دِماءَ، فَقَطْ نَهرٌ يَجرِي مِن عَينَيَّ يَبحَثُ لَهُ عَن مَجرى، وَلا شَيءَ. فَرَاغٌ!

أَنَا مُمدَّدَةٌ عَلَى الأَريكَةِ، أَحتَمِي بِالغِطاءِ، الأَضواءُ خَافتَةٌ، يَعلُو عَينَيَّ خَدَرٌ خَفِيفٌ يَستَدرِجُ اللَّيلَ، الأَفكَارُ تَحومُ حَولِي وَتَملَأُ الهَوَاءَ، أُحَاوِلُ اصْطِيَادَهَ فِي فِكرَةٍ عَابرَةٍ.

أَمُدُّ يَدِي لأَلتَقِطَ بَقَايَا صُورَةٍ تَتَقَلَّبُ فِي الهَوَاءِ، أُصَابُ بِصُدَاعٍ نِصفِيٍّ، وَكَأَنَّ الصُّوَرَ تَنبُتُ مِن عَقلِي وَتَتَطايَرُ هُنَا وَهُنَاكَ، عَقلِي الَّذِي يُمَثِّلُ الجَحِيمَ بِجَدَارَةٍ، وَلا يَتَوَانَى عَن إِزعَاجِي بِصَخَبِ التَّفَاصِيلِ.

هُنَاكَ ضَوضَاءٌ تَقسِمُ رَأسِي نِصفَينِ! أُحَاوِلُ بَعثَ السَّكِينَةِ فِي قَلبِي، لكِنَّ قُوَايَ تَتَدَاعَى وَيَغلِبُنِي التَّعَبُ، أُحَاوِلُ فَتحَ عَينَيَّ لِأُوقِظَ مَا تَبَقَّى مِن قُدرَتِي عَلَى التَّحَكُّمِ بِأَمرِي، لكِنِّي مُرهَقَةٌ، وَلا أَستَطِيعُ انتِشَالَ نَفسِي مِنَ التُّوهَةِ، وَانتِزَاعِي مِنَ المَشهَدِ الأوَّلِ: أَصابِعُهُ تَعلُو مِن كَتِفِي إِلَى نِهَايَةِ الكُوعِ، يَتَسَلَّلُ كَفُّهُ عَلَى ظَهرِي، بَشرَتِي تقشعر.

أَوَدُّ أَن أُغَافِلَ الجَمِيعَ وَأَلمِسَ يَدَهُ، أُقَرِّبَ كَتِفِي مِن كَتِفِهِ، أَقِفُ مُنتَشِيَةً لِعَشرِ دَقَائِقَ كَامِلَةٍ، الكَتِفُ يُقَبِلُ الكَتِفَ.

لَقَد غَافَلْنَا الجَمِيعَ وَتَعَانَقنَا فِي مُولٍّ مُزدَحِمٍ دُونَ أَن يَدرِيَ أَحَدٌ.

أشياء تبدو عادية

العادي، أن تجد الصوت بلا قيمة، ألا تقتفي أثر أمك بعد رحيلها من البيت، ألا تبحث عن رائحتها على السرير، وعن بصمتها على سكين المطبخ

أن يُغريك حجم المسافة فتبتعد ليتسع أكثر، وأن تُصيبك وساوسك القهرية بالصداع كلما نظرت إلى مقبض الباب فلم تتذكر من آخر من أمسك به وأغلقه.

أن تفكّري بمقدار الجمال الذي يختبئ تحت ملابسك، وأن تعتقدي جدياً بأن هذا هو العمر المناسب لتتخلّي عن كل شيء وتعملي "كراقصة".

ألا تروقك الثرثرة فتتخذي الركن المظلم من الصمت، فلا يعود يُثار لديك فضول الكلام، ولا المارّين عمداً ليوقظوا فضولك الميت نحوهم.

أكثر من عادي أن تتزوجيه حتى وإن لم يولد بداخلك ذرة من الشغف تجاهه، أن تستسلمي بفِراشِه كغزالة نائمة أطلقوا عليها سهماً خدّر أعصابها، فباتت لا تشعر سوى بفكرة تدور في رأسها قصداً عن الصياد الذي التقته صدفة، ذاك الذي قرر اصطيادها ثم أفلتها عندما لمح بريقاً عابراً في عينيها.

ابن الحرية

أخي، هل ترى السماء؟ هناك طيورٌ تلهو في الأعلى.
مرَّ وقتٌ طويل، لم أرَ ما يدل على الحياة، ولم أركَ.
جميلةٌ تلك الزرقة، أعلم.. أنك تحب السماء، شساعتها، والحرية.
أعلم.. أنك لا تحب البيت، تشيح وجهك عنه لتتأمل.
كل ما يُعبّر عن حُطامك، حطام النجوم، وضحايا العائلات، والذين يتعذبون من أذى الظالمين.
أعلم أنك رحلت لتغسل يدك من الذكريات، لتتنكر من يوم ولادتك، وكأن أمك لم تحمل بكَ، كأنك لم تكن منها، وكأنها لم تكن.
كأنك ابن الحرية .. لم لا تحب سوى الغربة،النبيذ، والنسيان، وحقن المورفين!
لما لم تحبني؟ أخطو خلف رَكبك بلا جسدي.
أينك الآن؟ هل تعافت يدك؟ هل تعافى قلبك؟ أنا لم أكن أريد.. غير هذه اليد، لتسند جناحي المكسور!
كل ما تبقى منك بي صور أرتبها في عيني، رياحٌ تئن، ووعيٌ يذكُرك، يذكُرنا ويرتجف، هل تذكر؟ الأماكن القاتمة حين كنتُ أخبئك في حضني من وحوش الخيال!

عبرتُ بدونك كل أشواك الطريق حتى دمت قدمي.

لو أن أمك علمتك أن لا تخاف حين أناديك! لو أنها علمتك كيف تكون أرضًا تمشي إلى أهلها! لما اخترت أن تكون غيمة لا تقف ببلد.

لو أنها علمتك معنى السند، لما أغلقت الباب خلفك، وتركتَ على القفل رذاذ أنفاسك.

دوزن وتر البُكاء

الدَّمْعُ دِماءٌ شَفّافة، تُغرِقُك حتَّى تُنْجيك، تَرْجَمَةٌ لِحُزْنٍ مَكْبوت، مَا أنْ تَصِلُ إلى الذُّرْوة يَفيضُ، فَيَصيرُ مُحيطُكَ فارغاً إلّا منْ مَذاقِ مِلْحِهِ.

قُبْلَةُ الجَرْحَى، خُشوعُ المُتأمّلين.

تَأمَّلِ الجُرْحَ جَيّداً، أَنْصِتْ إلى صُراخِ صَمْتِك، لِتَسْقُطَ دَمْعَةٌ تَتَمَهَّدُ باستِسلام!

الدَّمْعُ صُراخٌ شَفّاف، حَيِّزُ الوَجَعِ، يَسيلُ قَطْرَةً قَطْرَة، غَيْمَةٌ مُمتلِئَةٌ إلى آخِرِها، جُرْحٌ انتَفَخَ حَدَّ الانْفِجار.

عِندَما يَبْلُغُ الحَنينُ أقْصَاهُ، ويَصِلُ الفَقْدُ إلى مُنْتَهاهُ، دَوْزِنْ وَتَرَ البُكاء، لِتُضبِطَ عِنْدَ دَمْعِكَ البُحَّة.

صورةٌ جماعية دافئةٌ.

جميعهم يملكون نفس الوجه، وذات الابتسامة تصدح كعصفورٍ يبتسم لقطعة خبزٍ مهملةٍ على الطريق، كنزٌ لجائعٍ صغيرٍ منحته الدنيا الحظ لتُفرح معدته الصغيرة بلقمةٍ لم يرها جائعٌ آخر.
القدرُ يقسّم الحظّ علينا بطريقةٍ غير عادلة أحياناً، يقسمه بذكاءٍ متناهٍ، كي نعتقد أن الصدف عادلةٌ، رغم علمنا المؤكد بأنها ليست كذلك، فإن كانت عادلةً لدامت وتشربنا لقاءاتها حتى غرقنا في الشبع من أناسٍ نودّ لو لم نفارقهم.
لكن يبقى الفراق هو الأذكى في القصة دائماً، لأنه يأتي بغتةً كالموت، ويسحقنا من الداخل، ولا يوفر حظوظاً أخرى للقاءٍ آخر، فيقتل القلب في الصميم.
كنت أريد أن أقول له إن وجهه جميل، رغم علمي أنه لا يراه كذلك، كنت أعشق صوته عندما كان يلهث بالغضب، كان يخترق مسامعي ويرسو في قلبي، فأعانقه.. أعانقه بشدة دون أن يدري أني أربت عليه بداخلي رغم تظاهري بعدم الاكتراث.
كنت أحب حاجبيه المرتفعين، جبهته الثائرة، وجنتيه المتوهجتين اللتين تتحولان فجأةً إلى الشحوب عندما يغلبه الحزن،كنت أريد أن أقبّله لتطير غربان الحزن من قلبه، فيتوهج ويكتشف الفرح من جديد، فيبصر دمه طريقه في عروقه.
لم يكن علينا أن نتصارع لنثبت أن أحدنا على حق، أنا لم أكن يوماً على حق، وليس من المنصف أن يَمضي كل الوقت في العراك

والمشاحنات، لم تسمح الفرص أن أعانقه عناقاً يشبعني، فأتنهد بعده لأزفر كل غضبي!

كم أنا جائعةٌ إليه، وأود لو أكون عصفوراً يلتقط قلبه من صدره كلقمة خبزٍ مسروقةٍ يطير بها بعيداً حتى يصل إلى سطح بنايةٍ مهجورةٍ في زقاقٍ لا يمر به أحد، فيأكلها على مهلٍ بتريثٍ شديد، قضمةً قضمة، وهو مغلق العينين، يأكلها بشغفٍ مثيرٍ دون أن يزعجه أحد.

كنت أريده كمشردٍ أهداه القدر غطاءً ثقيلاً، فنام في ركنٍ مهملٍ في محطة قطارٍ لا يلتفت فيها أحدٌ لأحد، لأن شيئاً ما يجعل البشر أحياناً لا يكترثون لبعضهم، خاصةً في محطات القطارات وقاعات السفر.

الكل يشغله الوقت فقط، الجميع ينتظر قطاره ويتخيل مقعده بالداخل، الجميع يدّعون أنهم يكترثون فيما يخص العناء البشري لأشخاصٍ آخرين، لكن الحقيقة هي أن لا أحد يكترث!

جميعهم ينتظرون مقعدهم في القطار، الزمن ليس بطيئاً كما نعتقد، الصمت والانتظار يجعلانا نتخيل ذلك فقط، لكن الحقيقة أن العمر يمضي كقطارٍ سريعٍ جداً، لا يقف سوى في محطةٍ واحدة..

عندما يتوقف كل شيء.

لأنَّ الجنونَ غَرَقْ

بكيتُ كثيرًا، بعثرتُ طاقةَ حزني هنا وهناك، صرختُ وانفعلتُ، وأفرغتُ ما بداخلي من غضبٍ لعلي أشعر بانتصارٍ واحدٍ لنفسي.

بنيتُ مشاعري على أساسٍ من الصدق، لم يُصدّقه أكثرُ من أحببتهم، فاكتفيتُ بأن مضيتُ وأنا أنزف أشيائي العزيزة التي تركتني، حتى إذا بدا في الواقع أنني أنا التي تركتها!

أرتشفُ الدقائقَ على مهل، أتأمل صوته، صوره، أشربه في الأشياء الساخنة التي أحاول أن أشعر فيها بالدِفء. كنتُ أرفعُ قدمي عن الأرض لأنّ ثمةَ خوفٌ يتملكني كلما شعرتُ أنني ما زلتُ أستطيع السير وحدي، أرفعهما كي أنسى أنني أستطيع.

ولأنّ البردَ كفيلٌ بأن يجعلك أكثر وحدةً مما أنت عليه، أدثِّرُ قدمي تحتَ جسدي في محاولةٍ لعناق جسدي بجسدي، ولأنّه بات علينا أن نعترف بأن لا أحد هنا يستطيع عناقنا بالطريقة التي نحب، وأن الشخصَ الوحيدَ الذي استطاع فعلَ ذلك.. ليس هنا!

هو الآن يتظاهر ببناء مشاعرٍ ليست لنا، ولأنّ ثمةَ غيمةً مرَّت أمام عينيه جعلته لا يرانا جيدًا، فلم يعرف حقيقتنا.

أحاول أن أكون ناضجةً كفاية، أحاول إفراغَ صَخبي لأنَّ الآتي لا يُشبه صَخبنا في شيء.

أحاول أن أصمتَ، لأننا نسمع صوتَ الحقيقةِ عاليًا أثناء الصمت،

أتواصل مع ذاتي في محاولةٍ لرتق كلِّ جرحٍ جعلني أتألم، أحاول فهم الحقيقة، لأنني اكتشفتُ الخوفَ حين علمتُ أنَّ أكثر من أحببتهم هم أكثرُ من استمتع بخوفي!

في محاولةٍ لعدم التخبط الآن.. أحاول كبحَ جماحي، أتدرب الآن على التنفسِ بهدوءٍ لأنَّ ثمةَ واقعًا لا يليقُ به أن نفجر أنفسنا بتسرعٍ أو كما نحب.

في محاولةٍ لعيشِ الواقع، لابد أن نرغم أنفسنا على التعقل، لأن الجنون غَرَقْ، وأنا لم أعد أمتلكُ أنفاساً كافية في صدري، تُؤهلني لأحيا تحت الماء.

من كل هؤلاء البشر في جسدي؟!

الصحو هو تمددُ شرايينِ اليقظةِ واندفاعُ الدماءِ فيها، وصمتُ اللاوعي مدةً كافيةً نختارُها نحن.

لم يكن تعريفي دقيقًا، لكنه كما أراه بشكلٍ يتناسبُ مع حالتي الآن.

إنني لا أُحدق فيك لأنك جميل، لكن وجهك يدعوني للبكاء بشكلٍ يدفعني لتأمُلك أكثر كل مرة، كي أجدَ سببًا واحدًا لبكائي!

أنا مستيقظة لدرجة أني لا أتخطى وجهك حين أعدُّ الوجوه برأسي، أمشي بمحاذاتها وكأن لها أرجلًا، أسير قربها على مسافةٍ واحدة، وأُطلق العنان لصوتي ليصرخَ صافيًا دون ارتباك.

أن تكون خاليًا من الفوضى يعني أن تدندنَ لحنًا ما، وعندما تنهيه تعودُ وتدندنه من جديد بنفس النمط ونفس النغمة الرتيبة، دون أن تسمحَ للنشاز بابتلاعه.

صرتُ أُغني الآن، وتخلّيتُ عن بلعِ صوتي بمعدتي والاحتفاظِ به هناك.

أنا الآن شرهةٌ على الحديث، أتحدثُ دون وضع فواصلَ بين الجمل وبعضها، ولا أفكرُ كم ستكون النقطةُ معبّرة بعد آخر كلمة،

سأقضم شفتي أيضًا كلما تخيّلتُ أن هذا يستفزك، جرّب أن تُربكَ أحدًا وستدمن ذلك.

ولا تنسَ أن المرأة إذا رُسمت في لوحة تكونُ أكثر غموضًا وسحرًا عندما تُرسم بلا شفتين.

متى يتغير الصوت؟ هل يتغير بفعل الزمن أو البرد؟ لقد ارتفعت حرارة جسدي بالقدر الذي جعلني لا أقوى على إطباق شفتي على بعضهما.

ثمة سخونة تلهب فمي وتسير إلى صدري وتكسر عظامي،

هناك بناتٌ في حلقي لا يَكفّن عن البكاء، يُصدرن صوت نحيب كنشازٍ فاتنٍ يذبل أمامه كل من يسمعه.

من كل هؤلاء البشر في جسدي؟

لا بد وأني أتأرجح الآن ما بين اليقظة وغفلة الحُمّى.

في قبضةِ الزمنِ

طِفلةٌ ضيَّعها الطريق، جثَت على ركبتيها تُراقبُ يرقةً تزحفُ على صخرةٍ، فغلبها النوم، ولم تَبكِ خوفَ الطريقِ والفِراق.

امرأةٌ في الخامسةِ والعشرين، عندما ترقصُ الباليه، تأخذُ شكلَ "الفرجار"، تفتحُ ساقيها بكلِّ ما أوتيت من قُدرةٍ، لا تعلم أنَّ بين صفوفِ الجماهيرِ يجلسُ رجلٌ ذو عقلٍ مريض، يتخيلها وهي ترقصُ عاريةً على فراشهِ، لكنَّ الفرقَ أنَّه يصفعُها نيابةً عن الموسيقى.

في الخامسةِ والثلاثين، "لا تأكلُ الخضار"، مُدمنةٌ على الوجباتِ السريعة، شاحبةٌ كلوحةٍ بلا ألوان، أفقدَتها الأزماتُ النفسيةُ نصفَ شعرها، والنصفُ الآخرُ مكومٌ فوقَ رأسها على شكلِ كعكةٍ دون سكر.

تعلمُ أنَّها مريضةٌ بالسكري، وبرغم ذلك تبتاعُ الدواء، وتفرغهُ كلَّ يومٍ في حوضِ الاستحمام، تُسنِدُ رأسها على حافةِ الحوضِ، وتُراقبُه وهو يذوب!

امرأةٌ في الأربعين، تُدخنُ بشراهة، تحترقُ ليحترقَ الوقت. دمُها مكونٌ من نيكوتين، تخشى الظلامَ والوحدة، لا تحتسي قهوتها إلا في المقاهي ذات الأضواءِ الصاخبة، تراقبُ صورتَها في انعكاسِ

الزجاج، بعد أن أقلعت عن مراقبةِ المارةِ منذ خفَت فضولها، تفهمُ كيف تبتسمُ لها العيونُ حين تتأملُ جمالها، لكنها لا تُبالي

في الرابعةِ والخمسين، تحتسي الشاي الأخضر على فراشِها الدافئ كلَّ ليلة، وتقرأُ ما يُتيحُ لها الوقتُ من كلمات، تعلمُ جيدًا أن زوجَها فارقَ الحياةَ منذ عشرين عامًا، وبرغم ذلك تصنعُ له كلَّ ليلةٍ كوبًا من الشاي الأخضر، وتضعُه قربَ كوبها، رغم إصابتها "بالزهايمر".

تغفو بعد رابع رشفةٍ، وثالث صفحة، فيسقطُ الكتابُ من بين أصابعِها.

فُتِنتُ بنفسي

لِي عِلَلٌ كثيرةٌ، والجسدُ أكبرُها، حينَ يكونُ جسدي كقاربٍ تائهٍ لا يليقُ بروحي "الجامحة"، أتساءل: لمَ لمْ يخلقني الله طيرًا مُحلِقًا لأضيعَ في المدى بلا خريطةٍ تهديني إلى سبيل.

تملؤني كومةُ أسئلةٍ لا جوابَ لها، لو أني أستطيعُ أن أجهّزَ - لجسدي - محرقةً لفعلتُ، كنتُ سآوي إليها بمحضِ إرادتي،

لماذا كلما مررتُ على مرآة، فُتِنتُ بنفسي، وسقطتْ روحي في أسبابٍ بلا تأويل.

يُحرقني جموحي، يجعلني في أوجِ الرغبةِ، فأنقُضُ كلَّ عهودي، وأقترفُ الوقوعَ في شهوةِ أفكارٍ تُسقِطني في (خطيئة) الاستسلام

فأضيعُ في لذةٍ تخطفني، وتجعلني الشيطانة، والماجنة، الغاوية والمُغوية، فلا يكونُ للملاكِ بداخلي سبيلٌ.

لا مجالَ للنجاةِ

عنِ الجمالِ، سحرُ الملامحِ، وشمٌ فوقَ الفراغِ كوجهٍ يزيحُ المدى، ويملأُ حيزَهُ نورٌ ينبثقُ أمامَ عينيكَ، وجهٌ له جناحان –هكذا تكون الملائكة-

عن سحرِ الروحِ، روحٌ تُحيركَ، مِن أيِّ نورٍ خُلقَت، وبأيِّ شيءٍ عُجنَت، غموضٌ يقودُكَ إلى الحيرةِ، الروحُ سرُّ الحياةِ، وحقيقةُ الموتِ.

المادةُ الحافظةُ للجسدِ عنِ السهلِ الممتنعِ، شيءٌ يأسرُكَ داخلكَ، ويدخلُكَ في دوامةِ الضياعِ، ما بينَ العينينِ مسافةُ نبضةٍ، وما بينَ الشفاهِ والجبينِ لوحةٌ، الألوانُ تأمركَ بالاستسلامِ رغماً عنكَ.

حقيقةُ الجفنِ كبئرٍ يخبئ أسرارًا عدة، اللونُ يسلبُكَ من حيزكَ، يأخذُكَ في دوامةِ الغوصِ بداخلهِ ويحيرُكَ، عنِ الجمالِ.

أخضر.. أزرق.. بني.. عسلي، قوسُ قزحٍ هو سرُّ (الحدقة)

"عينانِ تائهتانِ في الألوانِ" ، قال درويش، لوحةٌ، تغمُرُكَ بما لا تتوقعُ، تُغرقُكَ كما لم تتوقعْ

هل هناك مجالٌ للنجاةِ؟

كالتلذذ بالوجع

كَالتَلَذُّذِ بالوَجَعِ، أُحِبُّكَ هكذا، أُوجِعُ قَلْبِي عِنْدَمَا أُنْصِتُ لِدَقَّاتِهِ بِانْتِظَامٍ، يَشْهَقُ صَدْرِي فَأَتَنَفَّسُ غِيَابَكَ غَيْمَةً غَيْمَةً.

هَذَا اللَّيْلُ لَيْسَ سَاعَاتٍ، كَانَ رَعَشَاتٌ تَهُزُّ جَسَدِي، وَتُشْعِرُنِي بِجُنُونٍ لَا يُبْقِي أَثَرًا لِعَقْلِي بِدُونِكَ.

أَنَا كَقِطَّتِي تَمَامًا، قَدْ أَبْدُو لَكَ صَامِتَةً وَهَادِئَةً وَمُسْتَسْلِمَةً، لَكِنِّي أَثُورُ وَأَهْدَأُ، أَتَشَاجَرُ وَأَرْضَى، أُخَاصِمُ وَأَعْفُو، وَهَذَا مُهْلِكٌ جِدًّا لِجَسَدِي وَيَسْتَنْفِدُ كُلَّ طَاقَتِي.

أَنَا أَبْدُو لَكَ هَادِئَةً وَجَمِيلَةً كَقِطَّةٍ أَلِيفَةٍ، وَأَنْتَ تَسْتَطِيبُ هُدُوئِي وَتُحِبُّ اسْتِسْلَامِي، وَلَكِنَّكَ لَا تَعْلَمُ عَنْ صَخَبِي وَثَوْرَاتِي شَيْئًا.

أتذكرين؟!

في الغرفةِ حيثُ كان العالمُ وكُنّا صِغارًا، لم نعلمْ أنَّ خارجَها عالمٌ أوسعُ، إلّا عندما سقطنا سهوًا من النافذةِ.

أتذكرين يا أختي؟

عندما كُنّا نستيقظُ، ونُلقي الصباحَ على الشراشفِ، والجدرانِ، والمقاعدِ وأكوابِ الحليبِ؟

أتذكرين يومَ رحلتْ أُمّي لتشتري لنا الدُميتين فصوَّر لنا عقلُنا أنَّها لن تعودَ؟

أتذكرين هذا الخوفَ؟

وكلماتِنا التي كانتْ تخرجُ مرتعشةً من شفتَينا الصغيرتين؟

أتذكرين الشرفةَ التي كان لها "سورٌ" بنفس طولِ قامتِنا؟

أتذكرين الليلَ؟ تمتماتِنا، وخليطًا من البكاءِ ثمَّ الضحكِ الهستيريِّ!

والقفزَ من فوقِ الفراشِ، والدورانَ حول أنفسِنا؟

لا أذكرُ ما الذي كان يُضحكُنا وقتَها، لكنّي أذكرُ جيّدًا ما الذي كان يُبكينا

نشكرُ حدسَنا العالي

أنتَ الآنَ باردٌ تماماً، خالٍ منَ المشاعرِ التي بالعادةِ تحرِّكُ يدَك لتُلقيَ التحيةَ بالتلامسِ. لا شيءَ يُثيرُ شفتيك للتقبيل، أو يُثيرُ غرائزَك لممارسةِ الحبِّ.

أنتَ الآنَ خالٍ تماماً من إنسانيتِك. لكنَّك معَ ذلكَ تشعرُ بسلامٍ لا نهايةَ لهُ عندما تكونُ وحدكَ.

عندما نكتشفُ الحقيقةَ تصدمُنا واقعيتُها، رغمَ علمِنا المسبقِ بوجودِها، وشكوكِنا باحتماليتِها، ورغمَ صدمتِنا، نكونُ ممتنينَ للقدر، وللتفاصيلِ التي لا نغفلُها، ونشكرُ حدسَنا العالي، وقدرتَنا على الشعورِ بما قد يحدثُ قبلَ حدوثِه، رغمَ عدمِ جاهزيتِنا لتقبُّلِه أحياناً.. هي هبةٌ يجبُ أن نشكرَ أنفسَنا، ونحمدَ اللهَ على امتلاكِها، لأنها قد تُنقذُنا مما لا يُحمَدُ عُقباه.

أفعوانيةٌ لا تتوقف عن الدوران.

لم أستسلم، لقد بحثتُ عن الإجابة كثيرًا لكن جميع الإجابات لم تعنِ لي شيئًا، لقد كانت بمثابة كسرٍ في جمجمةٍ جوفاء، خاليةٍ من أي رموزٍ أو كلمات، لم يعني لهم عذابي شيئًا!

لقد قاتلتُ كثيرًا في حربٍ خاسرةٍ، لم يكن عليَّ خوضها في الأساس، لكن التجربة أحكمت وثاقي، ولم تفلتني إلا بعد أن استنزفتني بالكامل.

لم أكن أنوي حبك، ولم يكن يعنيني توسل عينيك بأن أقترب، لأني في الحقيقة كنتُ دوماً أجهل عن نفسي ما يجهله الغرباء عني.

وعندما وقعتُ في حبك، لم أعلم ماذا أقول. لكني كنتُ أحدثك في داخلي كثيرًا، أصنع عالمنا الذي سلبته مني الأيام، وأعصر ذاتي في تفاصيله حتى أنهك، فأكون فارغةً تمامًا ولا أمتلك طاقةً لفعل شيءٍ آخر.

طاقتي تنفذ معك في الخيال، ولا يتبقى مني سوى طيف جسدٍ لا يقوى على فعل الواقع، أو ممارسة حتى تفاصيله القليلة.

شيءٌ مؤسف أن تفرغ رغم أنك ممتلئ، أو أنك ممتلئ، لكنك لا تعلم بماذا أنت ممتلئ.

أنا أدور بداخلي كأفعوانيةٍ لا تتوقف عن الدوران!

على مشنقة الممنوع

المشاعرُ، ألسنةُ نيرانٍ بذيئةٌ، وقوادةٌ، ترميكَ في جحيمِها، تفتِكُ بجسدِكَ الفائر، تشعِلُه لتَجعَلَه رَمادًا، فلا عجينُ طينِكَ يشفعُ، ولا الماءُ للطهارةِ ينفع.

يتلو شعورُك تهويداتِ الخطيئةِ على جسدِك ويطلبُ المزيد،

يصرُخُ عقلُكَ عدمَ اتزانِه، تكونُ مجنونًا تمامًا، تسحِلُكَ الأفكارُ، أنت تريدُ، عقلك يصرُخُ، ذاتُك تتأرجحُ على مِشنَقةِ الممنوع.

الرغباتُ فخُ ساحراتٍ أصواتُهنّ تسحَبُ عقلَكَ من التعقلِ إلى الجنون.

تُمسِّدُ على شعرِكَ بتمتماتٍ شهيةٍ تجعل الشهوةَ مثلَ سُمٍ يسري في الأوردةِ بسرعةِ نَجمٍ تحرِقُه الغِواية.

عالَمٌ من الجنونِ يفتِكُ بك، تحاولُ الإفلاتَ والفرارَ من شياطينِ أفكارِك، لكنها تصعدُ بك إلى أعلى وتُسقِطُكَ في مجرةٍ كلُّ أجرامِها تلهبُك بالغواية، فتكونَ مثلَ جُرمٍ صغيرٍ ضعيفٍ ينتظر الخلاص.

تندفعُ كما يندفعونَ، تحترقُ كما يحترقونَ، تتفحّمُ في فضاءٍ تدورُ فيه وحدَكَ وتتلقفُكَ أيادي المدى، لكنها لا تنقذُكَ من السقوط.

جحيمٌ هي المشاعرُ، لذيذةٌ أخطارُها، قاتلٌ شبَقُها، طَرِبٌ صُراخُها

دافِئٌ سيلُ دمائِها، إدمانٌ عذابُها، "وكلَّ يوم في حبّك تزيد الممنوعات"، ولأنّ الممنوعَ وقودُ الرغباتِ، هُزَّ إليَّ بجِذعِكَ

يسّاقطْ رطبا جنيا، فلا صلاتي تقيني صراخَ طيني، ولا أنا ببطنِ الحوت كيونسَ لأستغفرَ الله فينجيني!

طُهرُ القلب هباءً منثورا، وبراءتي ذهبت أدراجَ الريحِ، وأصبحتُ لشهوتي فيك أسيرة، هُزَّ إليَّ بجذعكَ يسّاقطْ رطبا جنيا.

كيمامةٍ ظمآنةٍ

أحببتُك لأنك أنت بكل هذه البساطة، وبكل تعقيداتك صراعاتك، أصفنُ فيك فتأخذني إلى الرجفة التي في استطاعتها أن تُفقِدني قدرتي على تمالك نفسي، تستحوذ عليَّ بحيث أسبح ضد التيار، لا أستطيع المقاومة.

أتعب، أستسلم، فأغرق فيك أكثر، ببساطةٍ ودون أدنى محاولةٍ لاستعادة نفسي، لأتنفس خارج بحرك، دون انتظار النجاة.

مرةً،كدت أن أغضب من وجهك، أسخط على ملامحك، تأملتُ ابتسامتك، حاولت أن أخلق مشاعراً لا تُنصِفُك، حاولتُ أن أصرخ فيك، لكن علت تفاصيلك كموسيقى، وتفتت النشاز الذي أحاول خلقه لأخترع سبباً يُخمد نيران شوقي إليك، أخفيتُ وجهك خلف كفّي، خبأتُ ضحكتك التي تُنهكني، حاولتُ أن أستجمع قوتي، حاولتُ ألا أفقد اتزاني، كدتُ أن أمسك زمام أمري فَتَعتَّق وجهك أكثر في أضلعي، تخمّر بداخلي، فهربت كل ضحكاتك التي خبأتها في جيوب الذاكرة، وتقافزت حولي كجراء ذئاب مغرية، لم أستطع تجاهلها فأحببتُها أكثر، حاولتُ أن أنفخ ظلك الكثيف لأبعده، فتلوّنت ملامحك وأطلقت رائحتك لتختلط بالريح، تنفستُك فارتبك قلبي.

وجدتُ نفسي أُغنيك أكثر، أصبحت كل تفاصيلك أغنياتٍ وموسيقى، ضممتُك على غير إرادةٍ فذاب غضبي، وأغرقني عشقي فيك أكثر.

ها أنتَ! لماذا كلما أخفيتُك أعوي، لماذا أُشبه المدن العطشى، وتُشبه الغيم فتتساقط كالمطر فلا أرتوي إلا منك، فأعود لأغرق فيك أكثر، أتعلق بك كيمامةٍ ظمآنةٍ، أتشبث بسربٍ من غيومك!

تشرّدني الريح فأسقط فيك، أبكيك أكثر، فأحبك أكثر، أشربك كالخمر فأسكر، أضيع وجهتي فتكون أنتَ البلاد، أنتمي إليك كوطن..

فأغنيك أكثر.

يالوحدة وجهك!

ها نحن يلوكنا الليل بعد يومٍ طويل، منهك، يطوي جسدينا كورقتي خريفٍ يحتميان بالفراش، ورغبةٌ في عناقك تجرفني حين أراك تتقلب على يمينك تارةً وعلى شمالك تارةً، ترتاح في الجهة المقابلة لوجهي، فيقابلني وجهك بعينين متعبتين ترمقاني ببراءةٍ منهكة، فأمسد على شعرك وأقبل جبهتك وأبقي عيني عليك حتى تغفو.

أتأمل وجهك وكأنه مدينةٌ مأهولةٌ بالملائكة، يرتاح صخبها في هدوءٍ تحت غيماتٍ تفترش السماء ويغوص فيها قمرٌ فضي -يجبرني- على رسم هذه اللوحة، قبل أن يبعثرها صخب الصباح.

وذقنك عشبٌ، يرتاح على راحة وجهك كأنه نبت على سفحِ جبلٍ بعيدٍ ووحيد، يالوحدة وجهك!

أراقب تنفسك وانفعالاتك جيدًا، حين تهذي وتنادي -تيريزا- بنبرةٍ هادئة وقلقة، كأنك تبحث عنها في غياهب الحلم.

لو أن امرأةً غيري سمعتك وأنت تهذي بهذا الاسم في نومك للامتك في الصباح التالي، واتهمتك بما لا يطيق رجل!

لكني أعلم سرها، ولا أستطيع لومك على اقتفاء أثرها حتى وأنت غارقٌ في ملكوتك، لِمَ ألومك وقد فتنت بها مثلك؟

وهي التي استطاعت أن تدرب قلب زوجها على الولاء، بعد أن كان مثقلًا بولعه بالأخريات، في الرواية التي أتقنا قراءتها فأتقنتْ تقمصنا.

أحاول تقمص دورها، وإتقان اللعبة، فتلقي بقلبك في حضن قلبي طواعيةًدون إجبار، أنت الذي علمتني كيف أقرأك بنهمٍ كما أقرأ الكتب، وكيف تندس في روحي كما يفعل قنفذٌ شديد الشوك في حضن نعامة، تفتح عينك في الصباح وكأنك تبحث عن روحها في جسدي، يأسرك تمسكي بك كما يأسرك تعلق دوار الشمس بالقرص الذهبي!

الآن بتُ أفهم أن الحب يُبنى على عدة قواعد تجعله لا يتداعى، منها .. أن لا تتخلى امرأة مهما كانت التداعيات.

يمر الحب عادةً بالكثير من الصعاب لنختبر صدقه، ربما لتخوفنا من أنفسنا وليس ممن نحب، فتختبر الأيام قدرتنا على التقبل، وتحمل ما لم نكن نتوقع.

وأنا أحببت فيك خطاياك مثلما أحببت نزاهتك، لذا أنا هنا كل صباحٍ إلى أن تغفو عيناك، لأعانقك ونسير معًا في الحلم بين غابات السنديان والربيع.

قال أحمد خالد توفيق: "لا تخترني لأني الشخص المناسب أو لأني الخيار الأفضل، أريد أن أكون الشخص الذي تصر عليه، رغم كل السوء الذي تراه فيه".

لو أن اللهَ يراني!

لا أعلمُ لِمَ يُصرُّ قلبي على لعبِ هذه اللعبة، شدٌّ ودفع، لعبةٌ سيئةٌ لإلهاءِ عقلي عن التفكير، تعبتُ من الغوصِ بداخلي، أردتُ دوماً أن أُسكِتَ كلَّ هذه الأصواتِ التي تعلو بداخل رأسي، كلما حاصرني الصمت!

أن أُوقِفَ رجفةَ قلبي التي تُباغتني، فتنتفضُ لها روحي، وترتعشُ معها جوارحي، وتغلي لها معدتي.

وَدِدتُ لو أني أطفو فوق جسدي قليلًا لأستعيدَ نفسي من جديد، لو أن اللهَ يُقرِّبُ السماءَ قليلًا لأمدَّ حبالَ الخيال، وأتأرجحَ في غيماتها، لو أن اللهَ يمدُّ لي حبلًا ويهزُّه لعلني أشعرُ بقربهِ ولو قليلًا.

لو أنه يُمررُ لي كلمةً في سمائه كإشارة، أو يُحدِّثني عبرَ أرواحِ الكائنات، لو أن اللهَ يراني..

لَغَفوتُ دون اكتراثٍ وانتظارٍ للغدِ الذي رجوته أن يأتي..

لم يَعُدْ لي فيك شيءٌ

لم يَعُدْ من حقي أن أثير مشاعرك لتبكي أو تُحِبني أو تحزنَ عليَّ، لم تَعُدْ عيناك لي، شفتاكَ الممتلئتان، جحيمي المستعر فيك، أنفاسك التي أشعلتني بحرائقٍ ورغباتٍ، لم تَعُدْ لي.

وجهُكَ الذي عشقته بكل ما يحتوي من ألمٍ وفرح، وجهُكَ الحبيبُ الناعسُ من التعبِ، تلك التفاصيل التي تجعلني إلى الآن أُطْحَن وحدي في معركة بكاءٍ لا تنتهي، لم تَعُدْ لي.

صوتُكَ، الذي ما زال يهزني كَلَبْلابَةٍ في مهبِّ العاصفة، الأمانُ الذي كان يعانقني، ويجعل المسافةَ "صِفْرًا"

كلُّ ما أحببته فيك، لم يَعُدْ لي..

لم يَعُدْ لي فيك شيءٌ!

تنتقم منه في نفسك

عندما يرسل لي أحدهم رسالة نصية، يُجبِرني ذلك على رؤية آلاف التساؤلات والرسائل التي أُرسِلت إليّ ولم أقربها. ليس تكبّراً، بل لأنني لا أقوى على زج نفسي في أمور تستنزف طاقتي أكثر مما هي عليه!

أتذكّره!

أتذكّر كل الرسائل التي ماتت بيننا وصارت ظلالاً من لومٍ ووحشة، جميع الأشياء تُذكّرني لتستفز عاطفتي.

لمَ قد يكون المرء بهذه الهشاشة تجاه أشياء رمزية لا دخل لها بما في داخله؟ ترتبط بشكل غير مقصود بملايين الأفكار المتكدسة في العقل، التي لا تخص سوى شخصٍ واحدٍ فقط في هذا العالم، لا أحد غيره يستفز جريان الدمع من جموده، لا أحد غيره قادر على زجّك في صخب داخلي لا يسمعه أحد ولا يعيه أحد سواك.

أشياء لا تُحكى ولن يفهمها أحد!

أمر غريب أن تطرأ على عقلك فكرة أن لا أحد له الحق في استنزافك سواه، أليس أمراً مستفزاً أن يكون هناك شخص واحد فقط قادر على سلبك من كل ما حولك، وزجك في فوضاه، حتى وإن كنتما تهيمان في فضاء البعد؟!

رغم كل أخطائه، لماذا نغفر؟ عقلك لا يستوعب هذا الاستنزاف، لكن عاطفتك تنتشي به وتعرفه جيداً، أفكار قاتلة ومجنونة تستهلكك بالكامل، كفكرة أن هناك شخصاً واحداً فقط له الحق في لمسك وتقبيلك، وسفك دمك عن آخره، لكن أُغلِقت بينكما جميع الأبواب! فرحلت مرغماً... لتنتقم منه في نفسك.

صفحةٌ لم يُكتب بها قَدر

أتعلمُ ذلك الشجن؟ ذلك الشعورُ الساحر الذي لا نعلمُ ماهيتَه، شيءٌ ما بين الحزنِ والفَرح، شعورٌ يدغدغ قلبَك فتلمعُ عينُك بدمعٍ مزمزم، وأنتَ تجلسُ مبتسمًا دون سببٍ معلوم!

هو ليس شيئًا يجعلني في حالٍ سيّئ.. لقد مرَّ أكثرُ من ذلك وما زلتُ حيةً أُرزق.

الشجن الذي ينتابني الآن قد مسح جميعَ الأحزان قبله، وغسلني من الداخلِ لدرجة أني أشعر بأني قد وُلدتُ من جديد.

أنا الآن على فطرتي الأولى، يسكنني شجنٌ خفيٌّ يربتُ على روحي ويجعلني مرتاحةً رغم كل شيء.

أنا الآن بخيرٍ لدرجة أني ولأول مرة، لا أستطيع التعبيرَ عن نفسي بكلمة سوى أنني بخير، أقولها وأنا أعيها جيدًا، لدرجة الإدراك الحسيِّ والفِعليِّ بواقعية الكلمة.

أنا بخير جدًا لدرجة الشعور بأن روحي تُحلّقُ حولي.

شيءٌ رائع أن تَصْدَقْ روحك باستنتاجاتها، وقد ألهمتني روحي، فعلمتُ (ماهيتَها).

أنا الآن صفحةٌ بيضاءُ لم يُكتب بها قدر.

أهزُّ جسدي لإفراغه

مرَّ اليوم الأول بمخاضه، كُنتُ أُعاني امتلاءً بك، أجرُّ نفسي من الأماكن كما يجرُّ ساعي البريد كيسًا مليئًا بالرسائل.
ما زلتُ ممتلئةً بكلامٍ لم أَقُلْهُ لك، أهُزُّ جسدي لإفراغهِ ولكن لا فائدة.
الكلامُ يبكي ويعاتبني أنك لستَ هنا، أغفو في النهاية وهو يتسربُ من فمي، أصحو وأنا أغرقُ فيه، أطفو على سطحهِ في محاولةٍ لتجاهله.
لا جدوى من صوتي الذي يهيمُ بداخلي، أنتَ لستَ هنا لتسمعَهُ.
اليوم الثاني هو الأسوأ..
أشعر أني هشةٌ للغايةِ ولا أستطيعُ رفعَ يدي، الطعامُ بلا مذاقٍ، الأغاني، الركض في مخيلتي، النداءُ باسمك!
اسمك الذي يجعلني في أوجِ الرغبةِ، والخوف، السكاكينُ صمتي، البوحُ للغرباءِ لا يمنح القوة، أنا هشّةٌ، وكلماتُهم تزيد هشاشتي.
أمقتني عندما أكون بهذا الضعف.
القوةُ، أنتَ، بدونك ينتابني سيلٌ من الانجراف، في زحلوقةٍ من اللاشيء، تأخذني إلى العمقِ، لأعودَ إلى داخلي وأنتبهَ أكثر، وأتأملَكَ بشرهٍ جائع.
أريدكَ وأُكابر، أحتاجُ يدكَ وشفتيك، أهرع إلى صندوقِ مأساتِنا، أسحبُ صوتك الغاضبَ بحذرٍ سارقةً، أعضُّ على شفتيَّ، وأبكي!

اليوم الثالثُ كان الأعنفَ:
هزّةٌ وجدانية، ضعفٌ، ثم قوةٌ، فكُّ عُقدِ القيد، حريةٌ.
أراقبُ نفسي جيدًا، أُصغي لذاتي، أُنصتُ لقلبي، أستمعُ لروحي، أشعرُ بألمٍ وامتنان.
أنا أعرفني الآن، لا تسع الأرضُ أجنحتي، أنا أُحلّقُ عاليًا، ولا أحد يستطيع اللحاقَ بي، أو المساسَ بمساحتي.
لقد كنتُ معك حالةً وعدة أقنعةٍ تُخفي خلفها الكثير، لَمْ تَرَني كَما أَرَدْتُ أَنْ أُرَى، كُنْتُ دُمْيَتَك، وَكُنْتَ يَدًا قَاسِيَةً تُمْسِكُ رَقَبَتِي، وَتُحَرِّكُنِي.

سُوبرَانو فَالْسِيت

كُلَّمَا زَادَ أَزِيزُ الرِّيحِ، خَلَعْتُ خَوْفِي وَاقْتَرَبْتُ مِنَ النَّافِذَةِ، وَأَلْقَيْتُ بِنَصْفِي الأَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ.

ذِرَاعَايَ يَتَمَايَلَانِ كَأَرْجُوحَةٍ لِلْعَصَافِيرِ، وَرَأْسِي يَتَدَلَّى بِثَقْلِهِ بَيْنَهُمَا.

أُغْلِقُ عَيْنَيَّ مُسْتَسْلِمَةً لِلرِّيحِ كَيْ تَعْبَثَ بِرَأْسِي كَيْفَمَا تَشَاءُ.

أُرِيدُ أَنْ أَفْرَغَ رَأْسِي مِنْكَ، وَلَا أَعْلَمُ كَيْفَ؟

أَشْهَقُ لِأَسْحَبَ أَكْبَرَ قَدْرٍ مِنْ عِطْرِ اللَّيْلِ.

يُهَدِّئُنِي صَمْتُ الشَّوَارِعِ، النَّوافِذ الْمَفْتُوحَةُ تُصْدِرُ الرَّغْبَةَ، وَهَذَا الرَّأْسُ الثَّقِيلُ بِكَ يَلُوذُ إِلَى الْفَرَاغِ وَهُدُوءِ السَّرَابِ.

أَبْحَثُ عَنْ مَفَرٍّ!

لَقَدْ أَصَابَنِي امْتِلَاءُ جُمَجْمَتِي بِصَدَاعٍ يَشُدُّ أَوْتَارَ رَأْسِي وَيَجْعَلُهُ فِي حَالَةِ صَخَبٍ دَائِمٍ.

أَنَا كَ"سُوبَرَانو فَالْسِيت" اعْتَزَلَ الْغِنَاءَ، لَكِنَّهُ يَتَسَلَّلُ لَيْلًا إِلَى مَسْرَحِ الْمَدِينَةِ، فِي مُحَاوَلَةٍ لِإِفْرَاغِ صَوْتِهِ الَّذِي يَدْوِّي بِجُدْرَانِ جُمَجْمَتِهِ، فَيُحْدِثُ طَنِينًا هَائِلًا بِأُذُنِهِ يُعَكِّرُ صَفْوَ هُدُوئِهِ وَيَمْنَعُهُ مِنَ النَّوْمِ.

أَسْتَيْقِظُ فِي الصَّبَاحِ وَأَنَا لَا أَمْلِكُ مِنْ أَمْرِي شَيْئًا، لَسْتُ مُلكَ نَفْسِي. الْعَصَافِيرُ تَأْكُلُ فَتَاتَ الشَّوْقِ مِنْ قَلْبِي، وَقَلْبِي كَقَفَصٍ يَتَصَيَّدُهَا،

وَيُغْلِقُ بَابَهُ خَشْيَةَ أَنْ تَطِيرَ، فَيَبْقَى وَحِيدًا مَعَ بَقَايَا زَغْبَه الطَّائِرَ وَالذِّكْرَيَاتِ.

قَلْبِي ذَلِكَ الْمُدَّعِي الَّذِي لَا أَعْلَمُ كَيْفَ أحبّكَ أَوْ مَتَى، وَكَيْفَ فَعَلَهَا بَعْدَ كُلِّ كِبَرِهِ، وَرَفْضِهِ لَكَ وَاسْتَسْلَمَ دُونَ مُقَاوَمَةٍ.

قَلْبِي الَّذِي يُصَنِّعُ لِي وُعُودًا كَاذِبَةً كُلَّ صَبَاحٍ، فَأَخْلَعُهُ مِنْ صَدْرِي وَأَلْقِي بِهِ نَحْوَ الْحَائِطِ، فَيصْطَدِمُ بِكَ وَيَعُودُ بَاكِيًا إِلَى صَدْرِي.

أُوجِعْنِي بِالْمُوسِيقَى وَأُغْرِقْنِي بِالْأَغَانِي، وَأَتَنَفَّسُ صَوْتَكَ نَغْمَةً نَغْمَةً. يُحَاصِرُنِي وَجْهُكَ وَعَيْنَاكَ، وَأَذُوبُ فِي فِكْرَةٍ أَنْ تَزْحَفَ شَفَتُكَ عَلَى كَتِفِي!

صِرْتُ جَسَدًا مِنْ أَرَقٍ، كُلَّمَا أَرَدْتُ الرَّحِيلَ إِلَى نَفْسِي وَالْإِفْلَاتَ مِنْكَ، أَعُودُ إِلَيْكَ وَقَلْبِي بَيْنَ يَدَيَّ!

لَا يَلِيقُ بِي هَذَا الضّعْفُ. فَخُذْهُ مَعَكَ وَاتْرُكْنِي فَارِغَةً، حِينَها فَقَطْ سَأُدْرِكُ أَنِّي بِخَيْرٍ.

أنت حاضر في الماء

لستَ هنا، لا تحاول فكَّ أزرارِ قميصك لتثبتَ لي أنَّ جسدك حقيقيّ!

لستُ هنا لأناقشَك في ماهيّتك أو في كونِك تعي حجمَ عاطفتِك تجاهي وتجاهَ نفسك.

أنت فقط مجردُ فكرةٍ تعبثُ بعقلي وأتوق ويسيل لعابي لتنفيذَها، أود لو تكون المسافةُ بيننا صفرًا.

واحدٌ وواحدٌ يساويان صفرًا، لسنا اثنينِ بكل بساطةٍ حتى إن كنتَ هنا.

الساعةُ الآنَ الحاديةَ عشرةَ مساءً بتوقيت مصر.

الواقعُ هنا يسحقُنا لدرجةِ أننا لا نعي أحيانًا من نكون رغم اتساعِ البحرِ وترامي المدى!

منذُ قليلٍ أردتُ أن أخرُجَ من شرنقتي وأرسلَ لك رسالةً نصيةً أقولُ لك فيها أني أحبك، لكنَّ الواقع هنا يجعلني مرتبكةً ومشوشة!

كنتُ سارحةً فيك وأنا أدفِّئُ الحليبَ على المَوْقِدِ، ففارَ الحليبُ وفاض حتى امتلأ الموقد به، فنسيتَك ونسيتَ نفسي في رأسي، واختطفتني الفوضى العارمةُ هنا.

تُسقِطُني الفوضى عادةً في بئرِ الكآبة، فأنتشلُ نفسي منها سريعًا بهدم البيت وبنائه من جديد!

المنزلُ الآنَ شديدُ اللمعان، رائحةُ اللاڤندر تفوحُ من الأرض والمقاعد، الأضواءُ خافتة، الهدوءُ يُخدِّرُ قطتي ويجعلُها مرتَخِيَةً تمامًا، تلعقُ شعرَها ببطء شديد، أغمضت عينَيها شيئًا فشيئًا حتى سقطت في قبضة النوم واستسلمت لخَدَره.

اكتشفتُ أنك ما زلتَ منتظرًا في رأسي عندما لمست أصابعي الماءُ المنهمرُ من الصنبور، الماء دافيء مثلك.

واحدٌ وواحدٌ يساويان صفرًا.

خلعتُ ثيابي وارتخيتُ في حوضِ الاستحمام فغمرني السكون، موسيقى شربل روحانا "نون صولو" تعبثُ بمخيّلتي في الخلفية.

همستُ لك أحبّك عشرَ مرات، وغفوتُ بالحوض والماء يغمرني من شعري إلى قدمي.

عطرُك يسبح في الهواء، وأنت حاضر في الماء!

تجعلني كاذبة

أَنْ تَسْتَفِزَّكَ صُورَتِي يَعْنِي أَنْ أَخْشَى نَظَرَاتِهِمُ الَّتِي سَتَقْتُلُكَ، سَيُزْعِجُكَ حَدِيثُهُمْ عَنِّي بِحَيْثُ تَتَمَنَّى قَتْلِي بِيَدٍ بَارِدَةٍ.

قَلْبُكَ الْمُحْتَرِقُ لَنْ يُصَدِّقَ دُمُوعَ بَرَاءَتِي، وَإِنْ أَقْسَمْتُ بِقَلْبِي لَنْ يُرْضِيكَ الشَّجَنُ الْمُرْتَجِفُ فِي صَوْتِي.

وَحِينَ يُشْعِلُكَ صَمْتِي، وَيَقْتُلُكَ حَدِيثِي مَعَ الْعَابِرِينَ، لَنْ تَشْفَعَ لِي كَلِمَةُ "أُحِبُّكَ" وَإِنْ صَرَخْتُهَا بَاكِيَةً!

إِنِّي أُحِبُّكَ، وَيُغْرِيكَ صَوْتِي، وَلَكِنْ بَعْضُ ظَنِّكَ يَجْعَلُنِي كَاذِبَةً!

وَإِنِّي لَمْ أَكْذِبْ قَوْلَهَا، وَلَكِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَسَّتْهُ غَيْرَتُهُ لَنْ تُوَاسِيهِ الْمُثَابَرَةُ.

كهيئةِ حمامةٍ بيضاء

كمن يملكُ مفاتيحَ الشَّرِّ في يديه، ولا يعطيها إلّا لمن سوّلت له نفسه أن يكون شيطاناً!

الذي يَعي جيداً كيف يصفُ جسدَ امرأة لم تَمَسّها أصابعُه حين يباغته الشوق.

الذي يكونُ نفسهُ بجدارة، حين يصفُ المنعطفَ الآمن بين فخذيها وخطِّ الوسط.

الذي يُقاتل، كي يجعلَ الغوايةَ ثأراً، حين تسحقُ امرأةٌ أفكاره بمنطقِ رفضِ المعصية.

ولطهرٍ تسلّقَ المنحنى الناعمَ، ما بين قلبها وعينيها، الذي يعلمُ سرَّ أن تغفو امرأةٌ عاريةٌ على فراشٍ دافئٍ في البرد دون أن يهتزَّ فرجُها كما يهتزُّ جفنُها.

حين تحلمُ بليالٍ شبقة، يسيلُ منها لعابُ الرغبة، كنهرٍ سريعِ الجريان، مع الرجلِ ذو الصوتِ الأجش، المليء بنبيذِ الرغبة، ويسمّي نفسه شيطاناً!

الذي يعي الحكمةَ من اللعنة، ويقودُ امرأته كغزالةٍ (تعي) أنها ستنزفُ دمَها كله، حين يعتليها رجلٌ يصنِّفُ الرغبةَ تحت بندِ الانتقام.

الرجلُ الذي كان بالماضي -ملاكاً- ونصبَ نفسه شيطاناً، الذي يقبعُ في المعنى، حين تعي أمٌ ضرورةَ أن تكون (ذات الشيطنة) فيها، وتلعن الرحمَ الذي احتفظَ بالنطفة ولم تُجهضْها قبل أن تتشكّلَ على هيئةِ طفل جرّدها من أحلامها معه، فكان سبباً بأن تنتهي كربةِ منزلٍ تغسلُ يدها كلما داهمتها رغباتُها بأن تستلقي على ظهرها، وتستسلمَ لأفكارٍ تسلط كل تركيزِها على الضعف الذي يكمنُ في جسدِها الغض، حينما تتمنى أن تلمسَها أصابعُ رجل

يسمّي نفسه شيطاناً!

ذلك الذي يئنُّ كل ليلة، لأن وجعاً ما جرده من طبيعته، وجعله يتمنى أن يستخلص من شبقها عطراً، يرشّه على وجعه كلما اشتاق أن ينتصبَ بداخلها، ولم تسلمه المقاديرُ سرها!

المرأةُ التي تسمي نفسها ملاكاً، وتخفي حقيقةَ أن الشيطنة لم تكن إلا - لعبة - تلهي بها الحزنَ كل مساء، ليمرَّ الليل دون أن ينتابَها مللُ انتظارِ لشيءٍ لم يكن.

المرأةُ التي تباغتهُ وتعتلي صهوةَ رجولته، وتفجرُ أنوثتها ليسيل لعابُ ذكورته كاملة دون أن يمسَّها ويضخَّ دمَ انتقامه في الثقبِ المظلم بين فضائيها المتلألئين بالنجمات، والغواية.

السحرُ الذي يكمنُ في المزيد دون طلبِه، والغرقُ في اللذةِ دون الموتِ فيها، وفوحانُ العطر الكامن في النهر المعتق، واستراقُ مفعولِه دون الانسكابِ الكامل في جريانه!

كمن يملك مفاتيح الجنة في يديه، ولا يعطيها إلا لمن أثارت بداخله سرَّ الغرقِ فيها!

كمن ينتظرُ الخلاصَ من لعنته، ليكونَ ملاكاً في مملكةِ كيانها ويحلقَ وحده دون اللحاقِ بسرب ودون الاهتداء إلى طريقٍ يخرجه من بيادرها المليئة بالرحيق، والعسلِ المصفى، والأنهارِ التي يتغير مذاقها على حسب مزاجِ شهوتها، كمن يأملُ أن يكونَ طائعاً، ومخلصاً، ويتخلى عن صفاته، ويخضعُ لسطوتها، وينسى صفاته التي كان عليها قبل أن تغزوه، وتبرد النارُ القابعة في عمقِ رجولته، وتعود لتثير وحشةَ ظمأه إليها كلما تهيأتْ رغبتُها كهيئةِ حمامةٍ بيضاء تشعلُه، وتخمدُه كلما رفرفرت بجناحيها وحلقت حوله

فأثارت حفيظةَ إيمانه، وأيقظتِ الماردَ الكامنَ فيه كلما باغتها ملل وضرب مزاجها، فبات هو العبدُ في حضرتها رغم قدرته وقوته، وباتت هي الربَّة في قلبه رغم ضعفها ورقتها!

جرعة زائدة من الأدرينالين

عندما أهداني جرعةً زائدةً من الأدرينالين، لم ينتبهْ أن ما ندمنهُ يجعلنا شرهينَ كفايةً لقتلِ أنفسِنا في سبيلِ الحصولِ على قشعريرةِ الشغفِ مرةً أخرى..

بينما كان يغلفُ الأدرينالينَ بصخبِ الأغاني، كنتُ أنا أعاني ارتجاجًا في رأسي حينَ كنتُ أزيدُ من علوِّها لتصلَ إلى أدقِّ نقطةٍ بداخلي، وتتشعبَ فتسكتَ ضجيجَ عقلي، وتعلو وتعلو، فتنتشرَ من رأسي إلى قدمي، فأغلقَ عيني وأنتشي.

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا!

لَم أَكُن فَاجِرَةً يَوْمًا، لَم أَكُن مَتَاعًا لِنَفْسِي قَبْلَ الرَّجُلِ الَّذِي كُنتُ آمل أَنْ يَكُونَ لِي جِسْرًا لِلْحَيَاةِ!

حَصَّنْتُ نَفْسِي كَثِيرًا، وَصَارَعْتُ مَشَاعِرِي كَيْ لَا أَسْقُطَ، كَيْ لَا أُخْطِئَ!

وَارَيْتُ جَمَالِي أَكْثَرَ، تَجَنَّبْتُ الْمِرْآةَ كَيْ لَا أَرَانِي، تَنَاسَيْتُ أَنِّي اِمْرَأَةٌ مُكْتَمِلَةُ الْأُنُوثَةِ وَالسِّحْرِ!

تَجَاهَلْتُ ذَاتِي فِي الْأَشْيَاءِ، تَجَاهَلْتُ الْكَوْنَ أَحْيَانًا كَثِيرَةً، غَضَضْتُ الطَّرْفَ عَمَّا حَوْلِي رُبَّمَا لِأَرْتَاحَ مِنْ أَنْ يُصِيبَنِي أَمَلٌ، وَعِشْتُ الْوَاقِعَ كَمَا هُوَ بِكُلِّ قَسْوَتِهِ وَوَحْشِيَّتِهِ، حَدَّ أَنِّي اِنْقَلَبْتُ وَحْشًا يَلْتَهِمُ نَفْسَهُ فِي لَحَظَاتٍ.

غَفَلْتُ الْحُبَّ، تَجَنَّبْتُ جَمِيعَ الْمُعَامَلَاتِ كَيْ لَا أَسْقُطَ فِي بَرَاثِنِ مَشَاعِرَ رُبَّمَا لَا أَسْتَطِيعُ تَحَمُّلَهَا، (فَأَنَا أَعْلَمُ هَشَاشَتِي)، إِلَى أَنْ اِنْزَلَقَتْ قَدَمِي "فَاسْتَسْلَمْتُ" بَعْدَ كُلِّ هَذِهِ الْمُقَاوَمَةِ، نَزَفَتْ مَشَاعِرِي دُونَ سِتَارٍ، وَذَابَتْ تِلْكَ الْقُوَّةُ الَّتِي كَانَتْ تُغَطِّينِي كَطَبَقَةِ ثَلْجٍ سَمِيكَةٍ تُوَارِي عَنِ الْعَالَمِ كُلَّ شَيْءٍ!

ذَابَتْ!!

حَتَّى بَدَا مِنِّي مَا لَمْ أَكُنْ أَتَوَقَّعُ أَنْ يَتَسَرَّبَ مِنْ مَسَامِّ جِلْدِي، ذَلِكَ الْوَهْنُ كَانَ مُحَبَّبًا بَعْدَ فَتْرَةِ صُمُودٍ طَوِيلَةٍ.

(وَهْنٌ لَذِيذٌ) جَعَلَ جَمَالِي يَلْمَعُ، وَكَانَ السَّبَبُ بَسِيطًا جِدًّا لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقَّعًا.

لَقَدْ حَدَثَ! وَامْتَلَكَ هُوَ وَحْدُهُ "كُودَ" الْقُنْبُلَةِ!

لَمْ أَكُنْ أَعْهَدُ تِلْكَ الْجُرْأَةَ عَلَى فَهْمِ مَشَاعِرِي جَيِّدًا، لَكِنَّهُ عَلَّمَنِي، لَمْ يَحْتَجِ الْأَمْرُ جُهْدًا كَبِيرًا فَقَدْ قَادَنِي لِاكْتِشَافِ فِطْرَتِي!

الْفِطْرَةُ تَغْلِبُ مَا يُكْتَسَبُ بِالتَّعَلُّمِ، تَكُونُ فِي الْعُمْقِ وَتَطْفُو، وَلَكِنَّهَا تَحْتَاجُ ضَغْطًا هَائِلًا عَلَى الْقَلْبِ لِتَعْلُو.

سُلِبْتُ تَمَامًا، وَتَلَذَّذْتُ بِسِحْرِ أَنْ تُسْلَبَ نَفْسُكَ مِنْ نَفْسِكَ!

كَانَ الْأَمْرُ غَرِيبًا عَلَيَّ، تَعَدَّى الْغَرَابَةَ حَدَّ أَنِّي شَعَرْتُهُ حُلْمًا، وَلَكِنَّ الْوَاقِعَ يُقَاوِمُ دَائِمًا، دَائِمًا مَا يُقَاوِمُ قُبْحَهُ جَمَالُ الْأَحْلَامِ، فَحَطَطْتُ بِجَنَاحَيَّ عَلَى الْأَرْضِ بَعْدَ تَحْلِيقٍ حُرٍّ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ!

كَانَتِ السَّقْطَةُ مُؤْلِمَةً، فَأَوْجَعَتْنِي، وَكَأَنَّ الْحَيَاةَ تُمْسِكُنِي مِنْ قَدَمِي وَتَضْرِبُ بِقُوَّتِهَا جَسَدِي بِالْأَرْضِ، أُضْرَبُ بِالْأَرْضِ فَأَفْقِدُ قَلْبِي.. أُضْرَبُ بِالْأَرْضِ فَأَفْقِدُ رُوحِي.. أُضْرَبُ فَأَفْقِدُ شَغَفِي، أَحْلَامِي، هُوِيَّتِي، إِنْسَانِيَّتِي، وَجْهِي، سِحْرِي.

أُضْرَبُ بِالْأَرْضِ، حَتَّى تَطَايَرَتْ رَغْبَتِي فِي الْحَيَاةِ مَعَ كُلِّ ضَرْبَةٍ، فَقَدْتُ نَفْسِي تَمَامًا، كَانَتِ الضَّرْبَةُ الْقَاسِمَةَ، (وَلَكِنْ لَمْ يُصِبْنِي الْفُجُورُ) تَمَادَيْتُ فِي التَّحَدُّثِ إِلَى اللهِ.

لُمْتُهُ كَثِيرًا، وَبَكَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ. الْوَحِيدُ الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ الْمُعَانَاةَ تُكَلِّفُ الْكَثِيرَ. أَرَدْتُ أَنْ أَرْحَلَ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي جُهْدُ الشَّجَاعَةِ، مُحَاوَلَاتُ أَنْ أُغَيِّرَ الْقَدَرَ أَزْهَقَتْ رُوحِي.

وَمَعَ كِتْمَانِ الْمَشَاعِرِ الَّتِي يَصْعُبُ حَكْيُهَا، شَعَرْتُ أَنِّي لَابُدَّ أَنْ أَصْمُتَ، فَمُتُّ إِكْلِينِيكِيًّا.
أنا الآن ميّتةٌ تقريبًا، ولا أُؤمنُ بشيء، فقدتُ الكثيرَ من الدّماء، فقدتُني، ولم يَعُدْ فِيَّ موضعُ حياة!
أنا الآن ظلٌّ يرى، يُراقبُ الحياةَ من بعيدٍ، أنا الآن ظِلالُ كلِّ ما فقدت، ظِلالٌ كثيرةٌ تَهوي في شَساعةِ الحياةِ بِتَوحُّدٍ تامٍّ، ودونَ أيِّ دوافعَ لامتلاكِ أملٍ.
فليشهدِ الرَّبُّ على ذلك!

أسقط من التعب من ثقل رأسي على كتفي، لا أنام، ولا أموت!
أنا بداخل رأسي يقظة، ومنتبهة، أعيد تشكيل الكلام الذي قيل ويعيد نفسه، لا أتوقف، كلما حاولت التوقف لا يكف عن الصراخ!
لا يكف عن زجي في متاهاته وتنبيهي!
لا أنام، ولا أموت!
لن ينضب حبري، لن أكف عن الحب، والموسيقى، والحياة، وللحديث بقية.

المحتويات

إهداء ٥
كأنَّ القدرَ يُعيدُ نفسه ٩
القتل له طُرقٌ عدة ١٠
المزيج الذي يجعلك تائها ١٢
ما زلتَ حياً بداخلك ١٣
كَمَاسَةً عَلَى صَدْرِ الْقَصِيدَةِ ١٤
بَحرٌ مِنْ أَحْجِيَة ١٥
هل أخبرتك يومًا اسمي الحقيقي؟ ١٦
لست آمنة في جسدي ١٩
نصٌ بذراعٍ مُلْوىً ٢١
في بيتي عالَم ٢٣
عندما يأكلني الغضب ٢٦
أنا هنا ٣٠
لست تفاحة، ولا دمية ٣٣
صالة الانتظار رقم (١) ٣٤
سَرِيرٌ مَحفُوفٌ بالحَمَامِ والجَنازِيرِ. ٣٦
مثلُ الخبزِ أنتَ ٣٧
صَباحُ الخَيرِ أيُّها العالَمُ. ٣٩
فِلْذَةُ حُلْمِي ٤٢
لَم تُسعِفني أُنوثتي بِحَلّ! ٤٤

تذكير ٤٦
رسائل إلى الله ٤٨
ستلتقيان صدفةً! ٥١
مُتَّكأٌ تستطيبه ٥٣
اختلالٌ نفسي! ٥٥
هدانا الفراقُ ٥٨
لم تستطعِ السَّماءُ أن تُنهيَ الأمرَ ٦٠
كلُّ الأشياءِ تَغلي بصمتٍ ٦٣
كان ياما كان ٦٥
ذرة غبار تهيم في الريح. ٦٧
كلُّ الأشياء تقتلها، من الضحك! ٦٩
أغنيات ٧١
لَوْحَةٌ لِأُنثى عَارِية ٧٣
تذكّرت يوسف ٧٥
مَشَيْتَ على الغَيمِ ٧٧
رأيتُك، ٨٠
أمضغُ مشاعري ٨٢
حِينَ أَقُولُ لا ٨٤
الأفكار تأكلني ٨٥
من سيربح؟ ٨٧
أحببتُ الرحيلَ لأولِ مرةٍ ٨٩
جميعُهُنَّ يعتقدنَ ٩١
كلمات غير منطقية ٩٣

بين أشجار الليمون ٩٤
طيرك المُحلّق المُشتهى ٩٦
بَيْنَ سَبْعِ وَسائِدَ ٩٨
أراكَ في أعصابي ٩٩
وحيدًا في السّماء ١٠١
لم تَعُدْ تُعنيك النّجاةُ ١٠٤
كلحنٍ حزينٍ ١٠٥
مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ١٠٦
دوّامة من الخيول ١٠٧
تُوقِظُ اليراعَ في جَسَدي ١٠٨
أخافُ أن أعرف ١١٢
لَن تُسعِفَنا التِّيكِيلَا. ١١٣
مُقَدَّسٌ، لَا يَدْنُسُكَ غَضَبِي ١١٥
ما بين حنينٍ وسخط ١١٦
بعدَ أنْ تبادلْنا الرسائلَ، ١١٨
كلُّ همسٍ فريدٍ بيني وبين الله هو لك. ١٢١
المَشهَدُ الأوَّلُ ١٢٣
أشياء تبدو عادية ١٢٤
ابن الحرية ١٢٥
دوزن وتر البُكاء ١٢٧
صورةٌ جماعية دافئةٌ. ١٢٨
لأنَّ الجنونَ غَرَقْ ١٣٠
من كل هؤلاء البشر في جسدي؟! ١٣٢

في قبضةِ الزمنِ ١٣٤
فُتِنتُ بنفسي ١٣٦
لا مجالَ للنجاةِ ١٣٧
كالتلذذ بالوجع ١٣٨
أتذكرين؟! ١٣٩
نشكرُ حدسَنا العالي ١٤٠
أفعوانيةٌ لا تتوقف عن الدوران. ١٤١
على مشنقة الممنوع ١٤٢
كيمامةٍ ظمآنةٍ ١٤٤
يالوحدة وجهك! ١٤٦
لو أن اللهَ يراني! ١٤٨
لم يَعُدْ لي فيك شيءٌ ١٤٩
تنتقم منه في نفسك ١٥٠
صفحةٌ لم يُكتب بها قَدر ١٥٢
أهزُّ جسدي لإفراغه ١٥٣
سُوبرَانو فَالْسِيت ١٥٥
أنت حاضر في الماء ١٥٧
تجعلني كاذبة ١٥٩
كهيئةِ حمامةٍ بيضاء ١٦٠
جرعة زائدة من الأدرينالين ١٦٣
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا! ١٦٤